رواية

زوهار

حين تتقمص الأرواح في غير أجسادها

حسام الغزالي

Book top

زَوهار

إشراقة الروح في التلمود البابلي

حين تتقمص الأرواح في غير أجسادها

رواية

حسام الغزالي

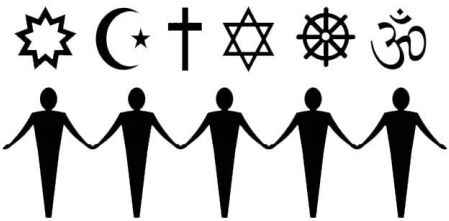

كل شيئ يصبح جميلاً حين نقرر نحن أن نراه جميلاً.

هل حدث وأن تقمص إنسان ما إنساناً آخر وتبادل معه الجسد ومازال كلاهما على قيد الحياة؟

قد لا تصدق أنها قصة حقيقية... لكنها حقيقة.

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2020

"نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون"..

الواقعة 61-60 – القرآن

"وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه".

إنجيل يوحنا – 15/1

"في كل دورة حياتية تكتسب المزيد من المعرفة الجامعة القديرة التي تجعلك تتحرر من قيود اللحم والعظم".

جبران خليل جبران

إذا كان الله يحاسب الروح تبعاً لما فعلته خلال حياة واحدة في جسد واحد دون أن تتقمص بأجساد أخرى، فكيف يمكن للبعض أن يحصل على القوة للتصرف في الروح وإلقائها في الجحيم بعد الموت؟

أوريجينِس الإسكندراني

"الإنسان روح وجسد. والجسد، ذلك المركّب، يمكن تحليله وتدميره، كما تفسد كلّ المركبات بعوامل عدة، أما الروح فهي خالدة، ولا أحد يستطيع تدميرها، لا الشر ولا أية عوامل أخرى، ولا حتى عوامل الكون والفساد، بل هي باقية إلى الأبد، وبما أن الأرواح خالدة، فالاستنتاج الحقيقي أنها هي نفسها على الدوام، لأنه إذا لم يكن أحدها مدمرًا، فلن تنتقص في العدد، لا ولن تزيد، لأن ازدياد الطبائع الخالدة يجب أن يأتي من شيء فانٍ. وهكذا فكلّ شيء سينتهي في الخلود – وهذا محال".

إفلاطون

العقل – النفس – الكلمة – السابق – التالي

نجمة الطائفة الدرزية

ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.

الإسراء 85 – القرآن

الفصل الأول

مدينةٌ كبيرة يختصرها طريقٌ معتم، خالٍ إلا من رياح أواخر الشتاء.

ندوبٌ غائرةٌ وَصَمَتها المعارك على الشوارع التي كانت يوماً جميلة، والتي طالها الخراب والدمار كما طال كل شيء آخر..

لم يعد أحد يجرؤ أن يسير ليلاً تحت الضوء المعلق في منتصف الطريق، والذي قد يخبو في أية لحظة، ليحيل المكان إلى فضاء واسع يصعب تبين معالمه، وكأنه في قلب العمران غابة موحشة تنذر عابرها بالخطر الوشيك، فالليل هنا لا يصلح للسفر ولا للكلام؛ بل هو رَجعُ صدىً لأصوات الأزمات، وفراغ مثالي لتصفية حسابات النهار.

على رصيف متهالك كسرته سنون الهاون وعجلات المدرعات الحربية، سار بخطواتٍ متسارعة، ببنيته الجسدية الصلبة وطوله الفاره الممشوق.

ثياب رثة تملؤها بقع من الزيت والطين، حذاء رياضي قديم وأظافر سوداء غير مقلمة... شعره الأشعث الطويل وذقنه المشوه كانا دليلاً على أنه ليس شخصاً طبيعياً.

كان يسير مُتوجساً، تظهر على وجهه أمارات الخوف والريبة من شيئ ما ينتظره، بدا ذلك جلياً من خلال التفاتاته وحركة رأسه المستمرة.

عَبَرَ الشارع المقابل، استدار يميناً ويساراً، ثم هرول بعض الشيئ وصولاً إلى الجسر المنحني منذ سنوات في وسط المدينة.

للوهلة الأولى، سيعتقد كل من يراه أنه متسول تائه أو أبله، لكن من يمعن النظر في عينيه، سيلحظ فطنته وذكاءه المستترين خلف مظهره الرث.

لم تكن مثل هذه المظاهر مألوفة قبل عدة أعوام، أما الآن، وبعد تفشي الحروب الداخلية والفقر والجهل وانتشار البطالة، فقد بات التسول عند الشباب والنساء والأطفال مظهراً منتشراً ومعتاداً.

تجاوز إشارة المرور تحت الجسر الكبير بخطى ثابتة وصولاً إلى الرصيف المقابل، نظر إلى البناء الماثل أمامه، تأمله وكأنه يبحث عن شيئ ما، قرأ بعض اللافتات والإعلانات المعلقة على البناء، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفية، ثم تابع سيره حثيثاً بجانب سياج النهر الذي يقطع المدينة من منتصفها.

رغم الوقت المتأخر، إلا أن الشارع لم يخلُ من بعض الأصوات.

سار قليلاً غير مطمئن لأمر ما قد يحدث له، فحدسه الفطري أنبأه بخطر وشيك.

على بعد أقل من مئة متر خلفه، سار ثلاثة شبان في مقتبل العمر بشكل قد يبدو أول الأمر اعتيادياً.

تساءل في ذاته.. من أين أتى هؤلاء؟ وكيف ظهروا فجأة؟!

حاول المشي بخطوات أسرع باتجاه الجسر الكبير المقابل له، ثم التفت إلى الوراء، أيقن أنهم يطاردونه، فالمسافة بينه وبينهم باتت تقصر أكثر فأكثر.

شدّ قبضتي يديه وأخذ يركض مسرعاً.. نظر خلفه مجدداً، رآهم يركضون باتجاهه بأقصى سرعتهم فازداد خوفه، وأدرك أن عليه الفرار بكل ما يملك من قوة.

بنيته الجسدية الصلبة وقوامه الطويل سيساعدانه بكل تأكيد على الإفلات من هؤلاء الحمقى... صرخ بصوت عالٍ في الفضاء الواسع وقد أطلق ساقيه للريح، فآخر ما يريده هو الوقوع في قبضة غرباء متوحشين، فهنا الليل واسع وفارغ ومثالي لتصفية الحسابات.

ركض بسرعة جنونية كالغزال الهارب من مفترسيه، خطواته الواسعة المتسارعة جعلت من الصعب اللحاق به أو إمساكه. لكن فجأة ودون سابق إنذار، اصطدم به شاب جديد كان كامناً

خلف أحد الأعمدة فأوقعه أرضاً، لم يشعر بعدها سوى بخمسة رجال يجثمون فوقه وهم يصرخون؛ أمسكنا به.. أمسكنا به.

جرت العادة أن تطلق قيادة الشرطة حملات مكثفة للقضاء على المتسولين خاصة الشباب منهم، بغية الحد من انتشار التسول، كونها ظاهرة سلبية وغير حضارية، ومن ثم تسليم هؤلاء لمديرية العمل والتنمية الاجتماعية التي تكتفي بأخذ تعهد منهم بعدم مزاولة مهنة التسول، ثم تُعيدهم إلى الشارع رغم علمها المُسبق بأنهم مشردون لا مأوى لهم ولا مكان يلجؤون إليه.

لكن الأمر بدا مختلفاً هذه المرة، إذ أن رجال الشرطة المتخفين باللباس المدني كانوا قد أعدوا كميناً مُحكماً للإمساك بهذا المتسول بالذات!

صراخه الصاخب وتلفظه بكلمات غريبة ولعابه الكثيف الذي خرج من فمه وسال على ذقنه المتسخة مع محاولاته البائسة للتخلص من الأساور المعدنية المطبقة على معصميه كانت دليلاً بأن المقبوض عليه رجل مضطرب أو مختل عقلياً.

حمله ثلاثة من عناصر الشرطة ووضعوه في مؤخرة سيارتهم الكبيرة وانطلقوا بزعيق عجلاتهم باتجاه المركز.

بقيت أصداء صراخه وعياطه المستميت للإفلات تصدح في سكون المكان حتى بعد ابتعاد السيارة التي تقله، صراخ غير

مفهوم دون كلمة واحدة ذات معنى، أو حتى لفظ واحد مكتمل لغوياً.

لكن وللأسف نادراً ما يكون عناصر الشرطة مطلعين على الدراسات السيكولوجية والنفسية لمثل هؤلاء.

* * *

لا يقل الدمار الذي تجره ويلات الحروب على الإنسان عن ذاك الذي تجره على البنيان، فالإنسان هو الضحية الأولى للحروب من نواحي اقتصادية واجتماعية ونفسية.

ولهذا، فإننا في زمن الحرب نشعر بالعجز وعدم القدرة على العطاء أو التفكير أو العمل، ونستسلم لوساوس قهرية تتعلق بمستقبلنا ومستقبل أطفالنا، وقد يتطور الوسواس القهري ليتحول إلى اضطراب نفسي يجعلنا نعاني من أمراض نفسية تؤثر على أجسامنا وسلوكنا، فيستسلم تفكيرنا وإدراكنا للواقع الأسود لننهزم فكرياً وعقلياً، متحولين إلى مجانين أو أشباه مجانين نجول في الأزقة والشوارع دون معرفة مرادنا من هذه الحياة.

في مركز الشرطة تم إدخال الشاب الغريب ووضعه في زنزانة انفرادية تحمل الرقم 4.

شاع بين كل أفراد القسم أنه قد أُلقي القبض للتو على متسول مجنون، فهو إلى الآن لم ينطق بكلمة مفهومة أو ذات مغزى؛

بل إنه مازال يتصرف بشكل هستيري، ويحاول التحرر من قيوده المعدنية بكل ما أوتي من قوة لكن دون وعي أو إدراك.
رفع المساعد المناوب سماعة الهاتف وطلب رقم المقدم "مروان عبد الحميد" المكتوب اسمه أمامه على حافة المكتب..

- احترامي سيدي، تم الإمساك بالشاب المطلوب للتو، ووضعناه في الزنزانة الإنفرادية رقم 4.
- برافو، مسافة الطريق وسأصل إليكم.
- بانتظارك سيدي، ولكن...
- لكن ماذا؟
- يبدو أن الشخص الذي تم الإمساك به مصاب بالجنون، مازال إلى الآن يصرخ ويهذي ويحاول فك الأساور من يده.
- لا عليك.. المهم أن تكونوا أمسكتم بالشخص المطلوب، وليس أي متسول صادفتموه!

ضحك المساعد بابتسامة مكتومة على سخرية الضابط منهم، فكثيرة هي الأحيان التي يتم فيها إلقاء القبض على الشخص الخطأ.

- سيدي حسب المعلومات التي وصلتنا من معاونينا فهذا هو الشخص المطلوب.

- حسناً أنا قادم.
- احترامي سيدي.

أعاد المساعد "ياسر" سماعة الهاتف إلى مكانها، أمسك الملف الذي أمامه، ونظر إلى الشرطي المقابل له:

- يبدو الأمر غريباً، هل يعقل أن يكون هذا الشخص وراء كل هذه الأفعال؟!
- لا تستغرب، هو مجنون وقد يفعل أكثر من ذلك.

كان صراخ السجين في الزنزانة الإنفرادية الرابعة يزداد على عكس توقعات عناصر الشرطة، إذ أنه أصبح أكثر هياجاً وبات يحاول بكل قوته خلع باب الزنزانة، فيضربه برأسه ويركله بقدميه مع عياط شديد وصراخ لا يُفهم منه شيئاً.
لقد كان الأمر أشبه بإمساك حيوان ضاري مفترس وحبسه في قفص، لا يمكنه أن يفعل شيئاً سوى إحداث الجلبة العالية.
ناداه حارس السجن غاضباً:

- ستهدأ أم أدخل إليك وألقنك درساً يُعيد لك عقلك يا ابن العاهرة!!!.

صدرت أصوات ضحك عارمة من باقي أفراد السجن.

هدأ السجين للحظة وكأنه عرف من لغة الحوار أنه تهديد، لكنه وكالطفل الصغير عاد ليصرخ من جديد، وبصوت مرتفع أكثر وأكثر.

وصلت سيارة المقدم "مروان" إلى البهو الداخلي لقسم الشرطة، ترجل من سيارته والسيجارة ملازمة شفتيه، قدم له حارس البناء التحية مرحباً، لم يأبه بذلك؛ بل دخل على الفور.

* * *

يتبع ضباط الشرطة لوزارة الداخلية، وهي الوزارة المسؤولة عن حفظ أمن المواطنين، وعن وضع وتنفيذ استراتيجيات أمنية من شأنها حفظ أمن الشعب من أي تجاوز أو اعتداء قد يقع من قبل الخارجين على القانون، مع مكافحة الإرهاب والحفاظ على أمن الدولة سياسياً واقتصادياً.

وعادة ما يكون شرط الإلتحاق بمهنة ضابط الشرطة للشباب هو حصولهم على إجازة من كلية الحقوق، وفي بعض الحالات يتم طلب اختصاصات دراسية مختلفة.

كما يخضع هؤلاء الشباب لتدريبات جسدية وعسكرية تؤهلهم بدنياً وعسكرياً لتسلم مناصبهم كضباط شرطة.

ومع ذلك، فنادراً ما يكون لدى هؤلاء الضباط اطلاع على الدراسات السيكولوجية والنفسية وعلم الاجتماع لمعرفة

آليات التصرف في حالة ارتكاب جريمة قتل من قبل أحد الأشخاص المختلين عقلياً أو أحد المجرمين المحترفين.

* * *

جلس المقدم "مروان" على كرسيه الجلدي الكبير، وصوت صراخ السجين في الزنزانة الرابعة يملأ المكان، نظر إلى المساعد "ياسر" وقال مستغرباً:

- أمازال يصرخ منذ الإمساك به؟!
- نعم سيدي، لم يهدأ أبداً.

نظر إلى الملف الموجود على المنضدة، وأخرج صورة لشاب وسيم حليق الذقن، يختلف بالشكل الخارجي عن السجين رقم أربعة، لكن له ذات النظرة ونفس بريق الذكاء في عينيه.

- أحضروه إلى مكتبي الآن.
- سيدي، من الأفضل أن نُدخله إلى غرفة التحقيق، إنه مجنون، وقد يقوم بتصرفات خطرة، فقد أدخلناه الزنزانة بصعوبة بالغة.
- لا عليك، أحضره إلى هنا كما قلت لك.
- حاضر سيدي.

رفع السجين صوته بالصراخ والحركات الهستيرية بين اثنين من رجال الشرطة كانا يقتادانه نحو غرفة الضابط؛ بل وزادت محاولاته الفاشلة في فك الأغلال عن معصميه.
أدخلاه بصعوبة فائقة إلى المكتب وهما يمسكان به بشكل قوي يقلل من حركته العشوائية، لكن بنيته القوية وقفت حائلاً دون سيطرتهم الفعلية عليه.
واجهه المقدم مروان وصرخ بوجهه:

- اسكت وإلا جعلتهم يسلخون جلدك بالضرب، اسكت.

دون جدوى كانت محاولات المقدم في تهدئته.
استدار حول مكتبه، وقف بجانب السجين، أمسك بشعره الطويل وشده إلى الخلف رافعاً رأسه إلى أعلى ليتبين ملامحه بصورة أوضح.

- قلت لك اسكت كي أتحدث معك.. اسكت أيها الحيوان.

عبثاً.. وكأن السجين لا يسمعه ولا يفهم كلامه.
رجع الضابط إلى مكتبه وهو يتأمل السجين، أخرج سيجارة وأشعلها، ثم فتح جاروراً في صندوق للأوراق وأخرج "بطاقة تعريفية" مكتوب عليها اسم:
(الدكتور سامي عز الدين سقاف - أخصائي جراح في أمراض الأعصاب والدماغ)، مدّ البطاقة باتجاه المساعد ياسر.

- خذ، اتصل بالدكتور سامي السقاف ليفحصه ويُشخص لنا حالته، فقد يكون محتالاً.

قبل أن يمُسك المساعد ياسر بالبطاقة لم يشعر الحارسان إلا وحالة هياج غاضبة وعنيفة انتابت السجين، ليفلت منهما ويرمي بنفسه على يد المقدم محاولاً أن يمسك البطاقة بفمه. سقطت البطاقة على الأرض وارتمى السجين فوقها محاولاً أن يمسكها بلسانه، لكن سرعان ما جثم الحارسان فوقه وأخذا يلكمانه ويضربانه بقوة وهما يسحبانه إلى زنزانته الإنفرادية رقم 4.

* * *

كثيراً ما يقع رجال الشرطة في فخ ادعاء المتهم للجنون، خاصة إذا كان المتهم أو القاتل محترفاً في التمثيل ويملك القدرة على الإيحاء عبر لغة الجسد المطلوبة للتمويه.
وتعتبر هذه الحيلة من أخطر الحيل للتهرب من عقوبة السجن المشدد أو حتى حبل المشنقة.
وفي هذه الحالة يطلب ضباط التحقيق من الأطباء الجنائيين أن يشخصوا حالة المتهم، ليقرروا ما إذا كان يحتاج لمشفى الأمراض العقلية أم لا، علماً أنه في كثيرٍ من الأحيان تكون جرائم القتل نتيجة لأعراض ذهنية أو نفسيةٍ.

ويخضع المتهم لاختبارات تحلل وتكشف نسبة الكذب والتمثيل لديه، فليس من السهل ادعاء المرض العقلي في مثل هذه الحالات.

* * *

مع خيوط فجر اليوم الأول على اعتقال السجين الجديد وصلت سيارة الدكتور سامي إلى مقر قسم الأمن الجنائي.
ترجل الطبيب من سيارته والنعاس مازال بادياً على وجهه.
سار نحو مدخل القسم، رفع يده لتحية الحارس، على الفور رد الحارس التحية مرحباً به باسمه إذ أن زيارات الدكتور "سامي" للمقدم "مروان" كثيرة.
طرق الباب ودخل مكتب المقدم:

- صباح الخير سيادة المقدم..

مع ابتسامة بشوشة وسلام حار باليدين.

- صباح الأنوار والأزهار، نعتذر منك كثيراً، لكن الموضوع يحتاج لقرارك ويجب معرفة وضع السجين قبل الساعة التاسعة صباحاً.
- لم أفهم، أي سجين؟!
- قمنا بإمساك متهم غريب الأطوار، يبدو للوهلة الأولى أنه مصاب بالجنون، لكن حسب معلومات معاونينا

المدنيين تنطبق مواصفات أحد المجرمين على هذا الشخص. نحن نبحث عنه منذ أكثر من سنة، ولم نتمكن من القبض عليه رغم أنه يحوم في نفس المنطقة التابعة لنا.. وبحسب المعلومات الأولية فإن لديه العديد من الأسماء، وبحسب نفس المعلومات قد يكون قاتلاً متسلسلاً ومسؤولاً عن العديد من جرائم القتل الغامضة داخل المدينة وخارجها، تم الإمساك به ليلة البارحة، لكنه إلى الآن لم يهدأ، ومازال يصرخ كالمجنون.

حاول الدكتور أن يستمع لصوت الصراخ والعياط الذي لم يهدأ..

- هذا صراخه أليس كذلك؟
- نعم.. هل تنظر إلى حالته الآن؟
- أجل، خذني إلى الزنزانة.
- لا هو موجود في زنزانة انفرادية، سأطلبه إلى غرفة التحقيق.
- كما تريد.

ضغط المقدم على جرس الحارس، فدخل على الفور:

- احترامي سيدي.

- اجلبوا لنا السجين المجنون إلى قاعة التحقيق.
- حاضر سيدي.

على طاولة التحقيق وبحضور المقدم والحارس جلس الطبيب سامي منتظراً وصول السجين ليعاينه ويتأكد هل هو مجنون أم أنه يدعي الجنون، كان صراخه يزداد أكثر فأكثر وهو يسير عبر الممر المؤدي إلى قاعة التحقيق، بالإضافة إلى ذلك فإن أصوات الضرب على رقبته وشتمه لم تتوقف من الحارسين لجعله يصمت لكن دون جدوى.

دخل الحارسان ممسكان به، وقف الدكتور من مكانه وأخذ ينظر إلى عيون السجين التي لم تفارق هي الأخرى عيون الطبيب، تأملا بعضهما البعض، للوهلة الأولى شعر الطبيب أن نظرة السجين غريبة إذ أنه لم يصمت بل استمر بالصراخ لكن تركزت عيناه على وجه الدكتور وبشكل غريب، حتى أن المقدم "مروان" والحارسان شاهدا كيف يحملق بالطبيب وكأنه يعرفه أشد المعرفة.

اقترب الدكتور "سامي" أكثر، فنظرات السجين كانت مثيرة له، تأملا بعضهما البعض، ثم رفع الدكتور سامي يده ولامس وجهه طالباً منه أن يهدأ، على الفور هدأ السجين كحيوان مفترس بين يدي مدربه.

رفع المقدم عيونه باتجاه الدكتور وقال له:

- دكتور هل تعرفه؟

لم يحرك الدكتور عينيه عن عيون السجين، شعر أن سراً ما وراء هذا السجين فنظرات حدقة عينيه غريبة.
أجابه دون أن يلتفت:

- لا، إنها المرة الأولى التي أراه فيها، ولكن يبدو لي من نظراته أن أمراً غريباً وراءه.

تنهد المقدم بعمق ممتعضاً من هذه الفلسفة:

- المهم أخبرنا هل هو مجنون أم يدعي الجنون؟ نريد أن نعرف؟

أجابه الدكتور بكلام هادئ:

- ستعرف.. ستعرف!

* * *

يساعد النظر إلى حدقة عين الشخص المقابل في تكوين فكرة عما يدور في ذهنه، وما يحدد ذلك هو حجم بؤبؤ العين، فحركة مركز العين تعتبر إشارةً لما يفكر الشخص به، وقد تكون مؤشراً على القدرة العقلية التي يتمتع بها، كما أن مركز العين يعبر عن مدى عمق مشاعره سواء كانت سلبية أو إيجابية،

ويتناسب حجم المركز طرداً مع قوة المحفز الداخلي. بالمقابل، فإن خبراء التحليل السيكولوجي يتدربون على ملاحظة الوميض الخارج من العين، حيث يشير معدل الوميض إلى حالات معينة، فكثرة الوميض من جهة قد تشي بحالة من القلق أو عدم الراحة، والوميض بمعدل أقل قد يشي بأن الشخص يحاول السيطرة على حركات عينيه بشكل أكبر ليخفي شيئاً ما يعرفه.

تنهد الدكتور بعمق واستدار نحو حقيبته، فتحها وأخرج منها إبرة مهدئ ومنوم من نوع (ديازيبام) ثم طلب من الحارسين الابتعاد عنه، نظر الحارسان إلى المقدم ليأخذا موافقة الابتعاد عن السجين، فرسم المقدم انطباع الاستغراب مع موافقته على الابتعاد.

وضع الطبيب يده على كتف السجين وطلب منه الجلوس على الأرض، بكل رضا وهدوء وافق السجين وجلس مستكيناً، قرفص الدكتور بجانبه متحدثاً معه:

- لا تخف يا صديقي، كل ما أريده هو حقنك بهذه الإبرة، سترتاح بعدها، صدقني.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على محيا السجين المجنون للمرة الأولى، ثم تمتم وهو ينظر إلى يد الطبيب بكلمات هامسة وهمهمة من شفتيه..

اقترب الدكتور أكثر وقال له بصوت منخفض:

- ماذا قلت؟ لم أسمعك يا صديقي.

كانت المرة الأولى التي يتحدث فيها السجين المجنون وبصوت منخفض للغاية أقرب إلى الهمس:

- كم الساعة الآن؟

نظر الدكتور إلى ساعته، تأملها قليلاً ثم قال له:

- إنها الساعة السابعة إلا ربع صباحاً.

عاد السجين وتمتم بكلمات لم يفهمها الطبيب، اقترب الطبيب أكثر وقال له:

- صدقني لم أسمعك، هل بإمكانك رفع صوتك قليلاً؟!

هنا اقترب السجين بكل هدوء من وجه الطبيب، وهمس بإذنه قائلاً:

- هل مازلت تخفي عن زوجتك قصة هذه الساعة؟

ما إن قال السجين جملته هذه حتى شعر الطبيب بدوار وصداع شديد يجتاح رأسه وذهنه، جحظت عيناه ورجفت

يداه، تراجع إلى الخلف قليلاً، نظر إلى الساعة، ثم عاد وتأمل السجين المجنون من جديد وعلامات الاستغراب والحيرة واضحة على محياه.

كان السجين يبتسم وهو ينظر إلى عيني الطبيب، بينما استغرق الطبيب في عالم من الذكريات والاستغراب والتعجب.

جثا الطبيب على ركبتيه، شدّ يد السجين إليه وحقنه الإبرة في ذراعه، بينما الأخير لم يحرك ساكناً، فقط كان ينظر إلى عيون الطبيب الراجفة.

شعر المقدم أن كلاماً غريباً دار بين الطبيب والسجين، فاقترب قليلاً:

- دكتور هل الأمور على ما يرام؟

وقف الطبيب، نظر إلى المقدم والحيرة تأكل وجهه، ثم عاد ونظر إلى السجين قائلاً:

- الأمور ليست بخير، يجب نقل السجين إلى مشفى الطب النفسي اليوم، وأنا سأشرف على إجراء بعض الاختبارات للتأكد من حالته العقلية..

* * *

الفصل الثاني

كان للجملة التي نطقها السجين وقعٌ كبيرٌ على قلب وعقل الدكتور سامي، إذ أنها أدخلته دوامة كبيرة من الذكريات، وبقي سؤالٌ مزدوجٌ يرن في دماغه، من هو هذا الشخص؟!
وكيف عرف بقصة الساعة؟!
اليوم يتجاوز عمر الدكتور "سامي" الخمسة والأربعين عاماً، وقد مضى على قصة الساعة التي يحملها أكثر من خمسة عشر عاماً، وحتى الآن لم يكن يظن أن أحداً ما يعرف قصتها.

* * *

"لم أكن أعلم أنه في اليوم الذي ألتقيك فيه ستأخذينني إلى جحيم يرافق حياتي كل يوم بذكراكِ..
جعلتِ حياتي منحصرة بين ذراعيكِ وأحضانكِ ورحلتِ.. حبك أسر كل كياني وأعطاني فرصة كي أحب الحياة وأرى الكون ملوناً..
تعاهدنا أن نظل بقرب بعضنا البعض، وأن أرعاكِ وأعتني بقلبك العاشق وأنتِ وعدتني كذلك، لكن الموت المفاجئ لم يكن رحيماً على قلبي... ففي كل يوم أفكر فيكِ وأتألم.. في كل يوم أستعيد ذكراكِ وكلماتكِ أقدسها وأتلوها على قلبي لعله يسكن ويرتاح".

في عيد ميلاده الأول بعد أن تعارفا أهدته "إيما" الفتاة الهادئة والجميلة هذه الساعة، كانت تحمل شهادة الماجستير في الفنون الجميلة، وتعمل في الرسم والنحت، أحبها وأحبته منذ اللقاء الأول، وبعد عدة أيام من تعارفهما عرض عليها الزواج على أن تنتظره لينهي خدمة العلم..

لكن وبعد ذلك بثلاثة أيام فقط تعرضت لحادث مروري أودى بحياتها. كانت علاقتهما سرية، وكان حبهما حقيقياً وصادقاً، لكنه لم يذكرها لأحد أبداً، ولم يذكر أن هذه الساعة هدية منها كذلك، حتى زوجته اليوم تظن أنها الحب الأول والحقيقي في حياته، ولا تعلم أن بقلبه ثغرة سوداء لحب عظيم لم يكتمل.

* * *

تسلل صداع شديدٌ إلى رأسه، كانت أحجية صعبة ولربما مستحيلة، كيف عرف هذا الشخص أن وراء هذه الساعة قصة كبيرة بالنسبة له.

خمسة عشر عاماً حافظ فيها على هذه الساعة من الضياع والتلف.

ادعى أنها من صديق له مات بسبب المرض، كانت لا تفارق معصمه، وبين الفينة والأخرى يحملها إلى أشهر محلات بيع الساعات ليرممها ويبقيها قريبة منه كأحد أعضاء جسده.

أشارت الساعة في معصمه إلى تمام الثانية عشر ظهراً، كان يومه بعد حادثة ذلك السجين سيئاً للغاية، إذ أنه لم يذهب لعيادته صباحاً ولم يعد إلى بيته..

ذهب إلى كافتريا تقدم الشاي والقهوة على أحد أرصفة المدينة، جالت بخاطره عدة أسئلة عجز عن إيجاد أي جواب لها..

كيف عرف أنني لم أخبر زوحتي؟ كيف عرف القصة أصلاً؟ هل يعرف "إيما"؟ هل كانت تربطه علاقة معها؟ هل أخبرته هي بالهدية قبل موتها؟ حتى وإن أخبرته كيف تذكرها؟ وكيف مازال يتذكر شكل الساعة؟

ذهب خياله إلى أخطر الاحتمالات التي عجز عن طردها من رأسه.

أسئلة كثيرة كادت أن تُخرج الدكتور "سامي" عن طوره، كان الذهول والتردد يسببان له صداعاً قوياً، غاص في بحر قديم من الأفكار، وبين الفينة والأخرى كان ينظر إلى ساعته لعل الوقت يسير ليستطيع مقابلة السجين مجدداً في مشفى الطب النفسي.

أشارت الساعة في معصمه إلى الثانية ظهراً، ركن السيارة في مرآب المشفى ودخل مسرعاً إلى الطابق الرابع حيث يقبع مرضى التخلف العقلي.

في الحقيقة لم يكن المشفى سوى مستودعات لحبس المرضى فقط ليتم فيها حرمانهم من الإندماج في المجتمع وسجنهم كالمجرمين.

ضمن البهو المؤدي إلى الغرفة التي وُضِعَ فيها السجين الغريب كانت امرأة قد فقدت أطفالها في الحرب تغني بصوت مرتفع، ممسكة بوسادة ترضعها، وتحكي لها القصص كي تنام كأنها طفلتها الصغيرة التي يتراءى لها أنها تبكي.

رجل يصرخ فاتحاً فمه ليظهر كامل فكه العلوي الخالي من الأسنان، معتقداً أنه مازال ضابطاً في وحدته العسكرية.

أما قبالته فقد وقف رجل صامت بجانب الحائط يهز رأسه بين الفينة والفينة من شدة الضرب الذي تعرض له أثناء اعتقاله، ليتبين في النهاية أن اعتقاله تم بصورة خاطئة بسبب تشابه في اسم الأب فقط.

طلب الطبيب من الشرطي الحارس على باب غرفة المريض فتحه، ورفض دخول الممرض معه، فقد أشار لهما بضرورة مقابلته لوحده.

دخل غرفة المعاينة العقلية حيث تم وضع السجين فيها منفرداً لحين تشخيص حالته بالصورة الصحيحة.

كان يجلس في زاوية الغرفة ساكناً هادئاً على غير طبيعته بعد الإمساك به، وكانت الأساور المعدينة ماتزال مثبتة على معصميه مع وضع يديه أمامه.

أغلق الدكتور الباب بهدوء ونظر إلى السجين، لكن الأخير كان واضعاً رأسه ذو الشعر الطويل بين يديه سانداً ركبتيه للأعلى. تقدم الطبيب وضع يده على شعره وبدأ سؤاله..

- ما اسمك يا صديقي؟ أنا هنا كي أساعدك؟

لم يتفوه المريض بأي كلمة.
حملق الطبيب بعيون المريض بشدّة وقوة وقال له:

- أستطيع مساعدتك من خلال تقريري الآن كي لا تعود إلى السجن، وأستطيع توفير كامل مستلزماتك هنا لتبقى براحة وأمان، فقط قل لي كيف عرفت بقصة الساعة؟

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه السجين، ثم همس بصوت منخفض بجملة لم يفهمها الطبيب...
اقترب الطبيب أكثر وحاول سماع الجملة طالباً إعادتها، فعاد السجين وقال له:

- هل مازلت دنيئاً مع النساء؟

وقف الطبيب وتراجع خطوة إلى الوراء، ثم وقف المريض شامخاً صلباً ونظر بقوة إلى عيون الطبيب، كان من الصعب على الطبيب تفسير هذه النظرة، نظرة كادت تخترق رأسه،

شعر الطبيب للوهلة الأولى بالخضوع والاستسلام، فنظرات السجين باتت مخيفة وقوية، وأكدتها حركة غير شعورية من فمه بعد إطباقه بشدة على الفك والشفتين، كانت وميضاً قاسياً.

شعر الطبيب بالخوف قليلاً وقرر الخروج من الغرفة لطلب المساعدة من الممرض..

لكن...

دون سابق إنذار وبحركة خفيفة وقوية نطحه السجين على جبهته كسرعة البرق...

شعر الطبيب بالدوار وعدم التوازن، كانت نطحة صلبة واحترافية وليس من المعقول أن تكون من شخص مريض عقلياً أو جسدياً أو نفسياً، كانت ضربة مقصودة ودقيقة بصورة رهيبة، أصابت جبهة الطبيب بالمكان الصحيح المسؤول عن فقدان التوازن ليسقط الطبيب أرضاً.

من سرعة الضربة وكون يديه مقيدتين سقط السجين بجانبه كذلك، لكن المفاجأة التي حصلت بعد سقوطهما على الأرض أن الاثنين أخذا بالصراخ معاً وهما يستنجدان بالحارس ليخلصهما:

نادى الطبيب الحارس:

- أيها الحارس ادخل فوراً إنه يعتديّ عليّ..

ونادى السجين الحارس بنفس الوقت:

- أيها الحارس ادخل إنه يضربني.

كانت المرة الأولى التي يتكلم بها السجين بهذه القوة وبجمل متوازنة ورزينة.
أعاد الطبيب استنجاده بالحارس:

- ادخل هذا المجنون يريد قتلي..

وأعاد السجين نفس الجملة تقريباً:

- ادخل هذا المجنون يريد أن يقتلني.

وقف الاثنان معاً، ومع فتح الحارس باب الغرفة اتجه الاثنان نحوه كي يخلص كل واحد من الآخر...
وهنا تغيرت الأمور في عيون الطبيب، تغيرت بشكل لا يصدقه عقل ولا عاقل.
بصورة غير منطقية أبداً، فقد أمسك الحارس يد السجين المجهول وأخرجه خارج الغرفة، بينما دفع الطبيب إلى الداخل بقوة وأوصد عليه باب الغرفة.
نعم هذا ما حدث بالضبط.

* * *

"دائماً يوجد بيننا نسخ ثانية من الشخص نفسه".

بنيامين فرانكلن

* * *

التقمّص هو انتقال الروح من جسد بشري إلى آخر، هذه العقيدة ارتبطت بالكثير من المذاهب والطوائف الدينية، ولم تبقَ في إطارها الفلسفي الديني بل تخطتها إلى بُعدٍ علمي حيث سعى علماء التنويم المغناطيسي وعلماء الباراسيكولوجي مثل (مورين برنشتين) و(مايكل نيوتن) و(ايان ستيفنسون) إلى دراسة عدد من الحالات في بلدان كثيرة لإثبات أو نفي التقمّص.

المؤلف

* * *

الفصل الثالث

وقفت مرعوباً مما حدث وكيف حدث، ارتعدت أوصالي وضعف قلبي، غاب صوتي عن الصراخ، تسمرت في مكاني مرتجفاً وكأنني في كابوس غير حقيقي، جف حلقي وذابت أضلعي، لم أعد قادراً على الحركة...

رفعت يديَّ أمامي، كانت الأساور مثبتة في معصميّ، التفت إلى زجاج النافذة العاكس لعلي أرى صورتي، كنت أنا الدكتور "سامي" بعقلي وذكرياتي وذهني وتفكيري، لكن بصورة وجسد السجين، أما السجين فقد خرج بجسدي، غادر للتو ليعيش حياتي أنا..!

دخل تفكيري بوتقة خارجة عن وعيي، طارحاً علي السؤال الأغرب في حياتي:

كيف حدث هذا؟

ما إن نظرت إلى صورتي على الزجاج حتى صدرت مني صرخة قوية، صرخة مزقت أحشاء السكون في المكان.

توقفت المرأة عن الغناء لابنتها الوسادة، وصمت الرجل عن الصياح، وانتفض خائفاً كل من سار في البهو المؤدي إلى غرفة السجين رقم أربعة.

لم أعد قادراً على الوقوف، خارت قوة ساقيَّ، اقشعر بدني وسرت فيه رعشة من الخوف والهلع، اضطراب، ارتجاف، تلعثم، تسمر، وجوم، رعب، ذهول، كان الموقف أشد رهبة من أي شيئ قد تتوقعونه، كدت بالفعل أن أصاب بالجنون، فما حدث لي لا يصدقه أي عقل بشري منطقي.

* * *

أنا الدكتور "سامي عز الدين سقاف"، عمري خمسة وأربعون عاماً، أخصائي جراح في الأعصاب والدماغ، اسم زوجتي "نهلة"، ولدي ابن اسمه "زين" عمره خمس سنوات، أتحدث لنفسي ولذاتي الآن وأنا بكامل قواي العقلية والذهنية والنفسية والجسدية، ولكن بجسد مختلف..

اتصل بي مكتب المقدم "مروان" صديقي فجر هذا اليوم من فرع الشرطة لمعاينة سجين في الزنزانة الإنفرادية الرابعة بدعوى الجنون..

تفاجأت أن هذا المريض يعرف قصة الساعة التي ارتديها في معصمي منذ خمسة عشر عاماً، والتي لم يطلع أي شخص على قصتها، إذ أنها من فتاة اسمها "إيما" أحببتها لعدة أشهر وأهدتني هذه الساعة بعيد ميلادي، ثم وبعد ذلك بثلاثة أيام تماماً تعرضت الفتاة لحادث مروري وتوفيت.

تأثرت كثيراً لحادث وفاتها وصنع اسمها بداخلي رمزية مقدسة تجاهها..

حافظت على الساعة من الضياع والتلف إذ أنها أغلى هدية تلقيتها في حياتي.

بعد دخولي مشفى الأمراض العقلية لمعاينة السجين وتحديد صدقه من كذبه قام بنطحي على رأسي بقوة لم أكن اتوقعها منه، سقطت على الأرض، حاولت النهوض مستنجداً بالشرطي الحارس، وما إن وقفت حتى دخل الشرطي ودفعني لأبقى أنا داخل غرفة المشفى الموصدة، وهو يخرج.

هنا تغيرت الحياة بنظري، فقد انتقلت روحي إلى جسد السجين، وانتقلت روح السجين إلى جسدي.

لقد أخذ جسدي وخرج من المشفى بصورتي، صورة الدكتور "سامي"، وأنا دخلت جسده لأبقى هنا باسم السجين رقم أربعة.

الآن، سيعيش هو حياتي بجسدي، بينما ذكرياتي وأفكاري ستبقى أسيرة تحرقني هاهنا.

أنا الآن دون اسم أو هوية أو صورة أو أي شيئ آخر، أنا الآن لست سوى سجين مجنون.

على الجانب الآخر من المشفى كان الدكتور "سامي" يصعد سيارته مسرعاً بعد أن فك ربطة عنقه والتوتر واضحٌ عليه، أدار المحرك وغادر مسرعاً.

* * *

إني متأكد أني قد كنت هنا من قبل، كما أنا آلاف المرات، وآمل أن أعود آلاف المرات الأخرى

يوهان جيته – طبيب ألماني في علم التشريح.

* * *

تلمست جسدي جيداً، تحسست أكتافي وبطني، وجهي وذقني طويلة الشعر، أظافري المتسخة، أنا لست أنا، أنا الدكتور "سامي" أما الآن فمن أنا بهذا الجسد؟

اجتاحتني موجة من البكاء والخوف معاً، شعرة واحدة من التفكير ضمن عقلي فصلتني عن الجنون، إما أن اهدأ وأفكر بعقلانية، أو أن أي تصرف مني سيكون بمثابة الدليل القاطع على جنوني، واختلال عقلي.

والسؤال الذي أدخلني حالة يائسة، هو كيف حصل ذلك؟ كيف استطاع أن يبدل جسدي بنطحة رأسه تلك، لقد استولى على جسدي وغادر به.. كيف فعلها؟

وهل توجد طريقة ما أسترجع بها جسدي؟.

كنت قد قرأت كثيراً عن حالات التقمص الروحي بعد الموت، وسمعت آلاف القصص عن أطفال يولدون بذاكرة حقيقية لأحداث تثبت أنهم كانوا يعيشون في مكان ما، لكن حالتي هذه غريبة ولم أسمع عنها من قبل، كيف يمكن للإنسان أن يتقمص إنساناً آخر مازال على قيد الحياة ويتبادل معه الجسد؟!

وضعت يدي التي ليست يدي على صدغي وحاولت استيعاب ماحدث معي، كنت أبكي كالمجنون الحقيقي والذي لن يصدق أي أنسان قصته هذه، فأقل ما يمكن أن يقال عني، أنني رجل مصاب بمس جنوني.

* * *

في الحكمة الإلهية ومن وجهة نظر "الثيوصفيا" يتكون الإنسان من مركبات سبعة وسبعة أجسام أو هياكل أو بُنى أو مستويات أو تدرجات، كل هذه الأجسام لها طاقة وطبقات وأغلفة وحُجب، وتتألف هذه السباعية من مجموعتين ثالوث علوي ورابوع سفلي، وهي مرتبة من الأخف الأشف إلى الأثقل الأكثف...

تبدأ من الجسم الآتمي (الآتما أو الروح) وهي الشعلة الإلهية الكامنة في الإنسان وتسمى (المونـاد) أو الإله الباطن.

ذكرها القرآن بآية "ونفخت فيه من روحي"، "فنفخنا فيه من روحنا"، أي أن الذات الإلهية نفخت في جسد الإنسان روح الله.

بعد ذلك يأتي الجسم الإشراقي (الجسم البويدهي) وهو أشبه بالمركبة التي تحمل الروح، إنه الجسد الذي يعيش على هذه الأرض والذي يُنهك ويضمحل مع مرور الوقت.

ثم الجسم العلّي أو الجسم السببي (الجسم العقلي الأعلى أو الأرفع) وهو النفس العليا والذي يعود للتجسد بحسب الثيوصوفيا، وهو الآلية التي يعمل من خلالها العقل البشري. كما ذكرتها كتب بني إسرائيل:

"في التقمص الأول تصلح الروح عن طريق الخير، وفي التقمص الثاني تصلح الروح بالشجاعة وتحدي الصعاب، وفي التقمص الثالث تصلح الروح بالمجد وإلا لن تخرج إلى العالم القادم"

كتاب الزوهار – التوراة العهد القديم.

* * *

بحسب ابن سينا الثالوث العلوي يسمى النفس العليا الخالدة وفيها الجسم الرغائبي وهو مقر الرغبات ويعتبر الجسد الفاني، ثم الجسم النجمي وهو النور ومركز الإحساس والعواطف والشهوات والشعور، ثم الجسم الأثيري وهو طاقة الحياة، وأخيراً الجسم الفيزيقي وهو الجسم المادي الثاني أو الجسم الجرمي.

وكل هذا يشكل شخصية النفس الدنيا الفانية.

* * *

ضمن غرفة مشفى الأمراض العقلية في الطابق الرابع، كان السجين قد هدأ مجدداً بعد أن تيقن أنه تعرض للتو لأغرب عملية نصب واحتيال قد تحدث في عالم البشر، لقد تمت سرقة جسده ووضعه في جسد آخر، وعليه كطبيب جراح بالأعصاب ومتمرس أن يثبت عملية سرقة جسده دون أن يقال عنه مجنون أو مختل عقلياً.

أول ما كنت أفكر فيه هو أنني تعرضت لعملية لا تخضع لقوانين المنطق ولا الفيزياء أو الكيمياء ولا حتى الطب المتطور، ما حصل معي ليس سوى عملية روحية احترافية غريبة، ولإثباتها يجب أن يكون لدي دليل ديني أو مذهبي أو روحي، وعلي أن أكون متوازناً فكرياً وبالقدر المطلوب.

لكن هناك مشكلتان يجب تجاوزهما، الأولى هي أن عائلتي بخطر، فالدكتور الهارب سيعيش الآن حياتي بالشكل الكامل، سينام مع زوجتي، ويقبل ابني، يدخل عيادتي وقد يتحرش بسكرتيرتي، سيأخذ نقودي، وسيارتي ومنزلي، وما أخشاه هو أن يرتكب حماقة باسمي.

المشكلة الثانية هي كيف أخرج من هنا؟

فأي ادعاء لي وأي كلام وأي تصريح بهذا الجسد ومن هذا المكان وبموضوع غير منطقي كالتقمص لن يكون سوى دليلاً قاطعاً على جنوني.

مجرد التفكير بزوجته وابنه كان كافياً لمدِّهِ بشعور المضطهد، إذا بقي يفكر بما حدث معه سيختنق وقد يمزق جسده لإخراج روحه المظلومة من داخله لينتقل إلى مكان جديد.

لكن ما كان يخفف من وطأة معاناته هو قوته الجسدية التي شعر بها، أكتافه وذراعاه صلبة، بنيته قوية، وفوق كل هذا دماغه سليم ويفكر بكل منطقية وهدوء، بل يستذكر الكتب التي قرأها والأرقام والمواقع والشخصيات، وبإمكانه ربط كل هذه الأمور لصياغة معادلة تساعده بالدرجة الأولى على الخروج، شعور بالقوة وذكاء عال وذاكرة قوية، أمور جديدة شعر بها للمرة الأولى.

* * *

"إذ تنبأ إيليا النبي عن طهارتك، وإذ كان يحاول أن يتمثل بها بالروح، التف بإكليل روح جديدة، فكوفئ أنه أعظم من الموت بحكم إلهي".

الأب ميثوديوس.

* * *

سارت الساعة متثاقلة، لم يدخل أي شخص إلى غرفته بعد تلك الحادثة سوى ممرضة وضعت له حبة من البطاطا مع رغيف من الخبز، وضعت الصحن وخرجت مسرعة إذ تم

إخبارها أن سجين هذه الغرفة خطر وقد يحاول الإعتداء عليها كما فعل قبل ساعات مع الطبيب "سامي".

نظر إلى انعكاس زجاج النافذة باتجاه الشارع، كان الظلام قد أسدل ستاره على الشوارع، هو الآن يعرف متى بإمكانه البدء برحلة الخروج من هنا، الحارس في البهو لن ينام، ولكن بحسب علم الطب يفترض بنا كبشر أن نكون يقظين في الضوء ونياماً في الظلام، فالضوء هو العنصر الأكثر فاعلية في ضبط اتساق الجسم الداخلي، وهنا يتم ضبط توازن الطاقة.

أشعة الشمس قبل شروقها تكون بين اللون الأحمر والأزرق، وهذا اللون له تأثير مثير للأعصاب ويعتبر باعثاً على الخمول لبضع دقائق ثم يعود الجسم لليقظة والحركة.

وبالنسبة للحارس الليلي ولطاقم المشفى المناوب ليلاً ستدخل أجسادهم مرحلة خمول الأعصاب قبل شروق الشمس بدقائق.

زحف باتجاه سلة المهملات في زاوية الغرفة، والتي لم تفرغ منذ زمن، رماها على الأرض، وأخذ ينبش بين الفضلات المرمية والمناديل الجافة ذات الرائحة النتنة على إبرة وخز مستعملة، فوجد العشرات منها.

أمسك إحداها وأدار رأس الإبرة قليلاً وبدأ يطبق مهارته الفائقة في فك الأساور المعدنية من الثقب الصغير، بضع حركات فنية وتم فتح الأساور تماماً...

وقف واتجه إلى النافذة المصممة عالياً كي تمنع هروب المرضى، حرك السرير الحديدي المتهالك، وضعه تحت النافذة وصعد لينظر إلى الشارع، تفاجأ بوجود شبك حديدي خارجي على النافذة.

نزل مجدداً واتجه نحو الباب، وضع أذنه ليسترق السمع الخارجي، كان البهو فارغاً...

إذا فكر بفتح الباب سيدخل في مشكلة جديدة، سيراه الحارس ويمسكه، وهو الآن بغنى عن المشاجرة اليدوية، كما أن زي المشفى الذي يرتديه كمريض سيكشف أي تحرك له ضمن البهو.

وضع سلاسل الأغلال التي معه على قفل الباب وأعاد إغلاق الأساور، فاطمأن أن أحداً لن يستطيع دخول غرفته من الخارج..

الآن بقي عليه التعامل مع النافذة العلوية والخروج منها، عاد وتسلق الجدار باتجاه النافذة واستقر بجانب الشبك الحديدي، حركه بقوة وابتسم ابتسامة خفية.

بما أنه في أحد المشافي الحكومية المبنية قديماً فمن الطبيعي أن تكون جميع أدوات ومعدات المشفى قديمة ومنهكة.

الشباك الحديدية قد تآكلت وصدأت وتهالكت خاصة من الزوايا المثبتة بالإسمنت...

نظر إلى الشارع وعرف أن التوقيت المناسب للهرب لم يحن بعد، وحتى ذلك الوقت بإمكانه بدء عملية تحريك الشبك الحديدي رويداً رويداً من الزاوية المتآكلة لفتح الجانب الأضعف منه.

* * *

ضمن إدارة المشفى كان مدير المشفى قد تلقى إشعاراً موقعاً من الدكتور "سامي سقاف" حول وضع السجين الجديد موجه لإدارة الشرطة المدنية، يثبت في التقرير أن هذا السجين سليم عقلياً ويعتبر مجرماً خطيراً ووحشياً، ويسمح للأجهزة الأمنية باستخدام العنف معه والضرب لانتزاع الاعتراف منه وكشف هويته، فهو إلى الآن يقوم بالتمثيل والادعاء بأنه شخص مختل عقلياً.

أكمل مدير المشفى خطاب الدكتور "سامي" بإمضائه على الورقة لتسليم السجين صباح اليوم التالي للأجهزة الأمنية وإعادته إلى مركز الشرطة لمتابعة التحقيق وفق ما يرتئيه ضابط التحقيق.

الآن بدأ الوقت بالتسارع، مضت أكثر من أربع ساعات والسجين يجلس على حافة النافذة ممسكاً بالشبك الحديدي يحركه وقد وصل إلى ذروة فتحه.

أخيراً أفلتت القاعدة الحديدية من الإسمنت، فتح عينيه بكل سرور وشدّ المشبك لأعلى لينتهي وجود أي حاجز بينه وبين حياته الجديدة بجسده الجديد وفكره وعقله الضارب بالقدم.
كان الوقت مواتياً الآن لبدء رحلة الخروج، خاصة وأن الكل شبه نيام أو في حالة استرخاء.
أمسك المقبض، نظر إلى الغرفة اللعينة التي فقد فيها جسده، ثم رفع جسده الجديد ليتسلق البناء وصولاً إلى أعلى.
وصوله إلى الأسطح لم يتطلب منه جهداً يذكر، إذ أن غرفته تقبع في الطابق الرابع والأخير، ومن على سطح البناء عرف النقطة الأسهل للنزول مع اتكائه على حواف النوافذ وصولاً إلى جذع شجرة الكينا الطويل والذي ساعده على النزول إلى الأرض.
بنيته الجسدية القوية ساعدته كثيراً في إنهاء هذه المهمة، كان عليه فقط أن يصدر أوامر جريئة لعضلاته لتتحرك بخفة، وهذا ما كان يفتقده حين تذكر كيف كان يمشي وكيف كانت نظارته الطبية على أرنبة أنفه تشكل له عائقاً أمام حركات جسده.
بحركات سريعة والتفاتات حذرة وصل إلى الشارع العام، سار على الرصيف مجدداً حراً طليقاً، لكن بجسد وشعر وذقن وملابس تظهر أنه متسول أو مجنون.

عليه أن يفعل شيئاً قبل أن يتم اكتشاف هربه من المشفى، ومن الخطر أن يبقى في المدينة.

* * *

شعور الخطر الذي باغتني لم أشعر به من قبل، فثمة أمر عجيب يباغتنا حين نشعر بدنو الخطر، إنه شعور القوة الفجائية، قوة خارقة تقذف بنا بعيداً عن مكمن الخطر، فبداخلنا قوة خارقة لا تظهر إلا عند الخطر.

مشكلته الأساسية تكمن في تغيير هيئته وملابسه، وحصوله على بعض الأوراق والإثباتات من منزله، لكن سؤالاً جديداً ظهر فجأة في عقله، ماذا فعل ذلك المفترس خلال الساعات الماضية، وكيف يتصرف الآن بعد أن أصبح في جسد الدكتور "سامي".

للوهلة الأولى تراءت له العديد من الصور السوداوية، هل يعقل أنه نام على سريره وبجانب زوجته، هل قبّل ابنه قبل أن ينام، ارتفعت كمية من الدماء الحارة إلى دماغه متخيلاً ماذا سيفعل به.

كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحاً حين وصل مشياً إلى الحي الذي يسكنه، نظر من الرصيف المقابل إلى شقته، كل شيئ يبدو طبيعياً، استدار إلى أمام البناء فوجد سيارته مركونة في مكانها.

شعور جديد باغته، شعر بالخذلان والحيرة، واجتاحته نوبة من البكاء، صراخ شديد كان يصدح بداخله، ثم تذكر أنه من الضروري السيطرة على مشاعره وأحاسيسه كي لا يبدو مجنوناً.

اعتاد منذ صغره على أن يكون دقيقاً، وأن يحفظ مواعيد وتوقيتات الأمور التي تجري من حوله.

في تمام الساعة السادسة والنصف ستنهض زوجته من الفراش، تعد الطعام وتجهز "زين" للذهاب إلى المدرسة، ثم ترتدي ثيابها وتغادر هي الأخرى إلى مدرستها، وفي تمام الساعة الثامنة والنصف سيغادر هو إلى عيادته.

الوقت الفارق هو ساعة واحدة.

تسلل إلى مدخل البناء ودخل كوة المنور الداخلي، ثم عبر من خلاله إلى غرفة تجمع أسلاك الكهرباء وأنابيب الماء الموزعة على البناء كاملاً، راقب حركة الشارع من فتحة صغيرة ضمن الجدار الداخلي وبات يتنبأ بالوقت.

لم يمض سوى بضع دقائق حتى سمع هدير حافلة المدرسة، وسمع صوت الأطفال وهم يصعدون...

ارتقب قليلاً وهو متسمر يرصد الشارع حتى اجتازت "نهلة" الشارع المقابل باتجاه مدرستها.

كثيراً ما كان يصر عليها أن تترك العمل وتتفرغ للطفل، لكنها كانت ترفض وبشدة، إذ أنها تحب مهنة التدريس رغم صعوباتها، وتبرر ذلك بضرورة تحسين دخلهم المادي.

اليوم أدرك أن قرارها بالعمل كان صائباً، فحياته لم تكن سوى سلسلة من المواقف والاختبارات والقرارات، واليوم لن يفرق عن غيره من الأيام.

لم يبق أمامه سوى قرار وحيد، وهو أن يعيد جسده لروحه، ولن يحيد عن هذا القرار إلا بالموت، فما حصل له ضمن المشفى جعله يدرك معنى الهزيمة الكاملة، هزيمة جعلته قادراً على أن يخطو نحو التحرر من هذا الجسد الذي تلبد بروحه وعقله وأنفاسه وذكرياته.

الآن هو أمام مواجهة كبيرة وعليه أن يثبت نفسه قبل انتشار خبر هروبه من المشفى.

ردد في ذاته؛ إن لم استطع العودة إلى حياتي الصحيحة فلا يجب أن أدعي القوة يوماً.

أمسك قطعة معدنية مرمية على الأرض، ووضعها وسط أسلاك الكهرباء، أمسك أحدها وشدها بقوة لينقطع التيار...

انقطاع التيار الكهربائي في هذه الأيام يعتبر أمراً عادياً للغاية، ولن يثير حفيظة أحد، ولكنه أضمن لعملية الاقتحام التي ينوي فعلها.

صعد درجات السلم ونفسه تقترب من الإنهيار، لكن رغبة الثأر لتاريخه ولجسده الذي لم يعد جسده جعل صلابته في مواجهة الحدث الذي غيرّ مسار حياته أكثر قوة.

وصل باب شقته، أدرك الآن أنه هو وغريمه وحيدان ويفصل بينهما هذا الباب، كان يحسب وبدقة وقت خروجه من المنزل ليذهب إلى العيادة.

دماغه ربط التوقيتات ببعضها البعض، فمع مغادرة الطفل إلى مدرسته ومغادرة "نهلة" إلى عملها، وتكاثف أصوات السيارات وحركة ضوء الشمس في الشارع تنبأ أن الساعة قد أصبحت الثامنة والنصف تماماً.

جاء الصوت من الداخل، كان الدكتور "سامي" ماشياً باتجاه الباب للخروج من منزله.. فتح الباب، وما إن صار مفتوحاً بالكامل حتى عاجله بلكمة سريعة وقوية أعادته إلى الداخل.. كانت لحظة حاسمة بالنسبة للسجين الهارب، أخيراً هاهو يقف وجهاً لوجه مع جسده...

فتح الدكتور عينيه على أشدهما وقبل أن يتلفظ بكلمة واحدة لم يشعر إلا بضربة خفية وقوية توجهت مجدداً من قبضة يد السجين إلى أنفه.

مجدداً وللمرة الثانية خلال أقل من أربع وعشرين ساعة يسقط على الأرض فاقداً توازنه.

* * *

أغلقت الباب خلفي وجثمت بكامل وزني ورشاقتي على جسده، عفواً على جسدي الذي سلبه مني، وأخذت أنتحب وأبكي كالأطفال وأنا ألكمه بكامل قوتي، ضربت أنفه عدة لكمات، ضربت فمه حتى نزلت الدماء من شفتيه، ضربت وجنتيه وكسرت نظارته الطبية فوق وجهه، كنت أشعر بالألم مع كل لكمة أوجهها إلى وجهه الذي كان بالأمس وجهي.

كانت لياقتي وقوتي البدنية عالية جداً، بينما كنت أعرف نقاط ضعف جسدي السابق، وأعرف أنه يعاني من بداية الديسك في أسفل الظهر، وأعرف أن سقوط نظارته الطبية سيجعله أضعف بكثير.

حملته وأدخلته إلى غرفة الضيوف، نظرت إلى منزلي كالزائر هذه المرة، كل شيئ مرتب وطبيعي، أنا أعرف "نهلة" جيداً، تستمتع حين تنظف المنزل.

ثبته على كرسي طاولة الطعام، وربطت يديه وقدميه ببعض الوشائح التي أحضرتها من غرفة نومي أنا و"نهلة"، بينما كان هو لا يزال يترنح من قوة الضربات التي وجهتها لوجهه والذي تلون بالأزرق والأسود والأحمر، كما أحضرت سكيناً من المطبخ ليكون التحقيق بطعم القوة هذه المرة..

أسئلة كثيرة اجتاحت دماغي، وما أحتاجه الآن هو أن يستعيد وعيه بالصورة الطبيعية ليجيب على جميع الأسئلة التي عليه الإجابة عنها.

"الإنسان العبقري ليس سوى حصيلة تجارب كثيرة لحيوات عديدة مرّ ويمرّ بها من خلال التقمص، والأرواح الأكثر قدماً تعلم أكثر من الأرواح المنتقلة حديثاً إلى الأجساد".

هنري فورد – مؤسس شركة فورد

* * *

لا يوجد علم يعارض أن شخصياتنا تتقمص هنا والآن، وعلينا أن نبدأ في تخمين العكس والشك بوجود فردية سامية أكثر اتساعاً من أجسادنا، وهي فردية تسمح للعباقرة أن يكونوا على اتصال أكثر بنا من الشخصيات العادية.

أوليفر لودج- من كبار علماء الفيزياء، رئيس جمعية البحث الروحي في إنكلترا، ومدير جامعة برمنغهام.

* * *

من أصعب اللحظات التي قد تمر بالإنسان هي أن يدلي بأحداث تحت تهديد السلاح، أحداث يرفض الإدلاء بها.
قيدته إلى كرسي الطعام بشكل قوي، مررت السكين على جبهته وخده وعنقه، وسألته:

- كيف فعلت هذا؟

كان وجهه شاحباً من الضربات المتتالية على رأسه، وللمرة الأولى أنظر إلى نفسي بشكل واقعي وليس كما كنت أرى صورتي في المرآة، شعري القليل، جبهة رأسي العالية، عيوني الصغيرة، للمرة الأولى شعرت بضعف جسدي الذي غادرته، واستشعرت قوة الجسد الجديد الذي سكنته.
أمسكت كوباً من الماء البارد وسكبته على رأسه ليصحو مجدداً من غفوته...
استنشق الهواء بصعوبة وصحى من غيبوبته، فالوقت ليس لصالحي وإلا كنت قد تفننت في تعذيب جسدي الذي يحمله..
نظر إلي بتمعن وابتسم ابتسامة صفراوية وقال بكل هدوء:

- هذا أنت؟

انفجرت في الضحك..

- لا.. هذا أنت أما أنا فهو أنت.

- ماذا تريد؟
- تعرف ماذا أريد، أخبرني القصة، قل لي كيف فعلتها؟

كان اللقاء بينهما أشبه بمسرحية أبطالها مجانين، جلس الاثنان قبالة بعضهما البعض أحدهما مقيد مستكين، والآخر يجبره على الاعتراف بالآلية التي استطاع فيها أن ينتزع منه جسده..

هذه المرة شعر السجين بضعف جسد الطبيب، وللمرة الأولى منذ الحادثة كان عقله الباطني يحدثه بأن لا يعود إلى جسده الحقيقي، فالجسد الذي هو بداخله الآن يبدو أقوى، أذكى، أكثر لياقة، وأكثر جمالاً فيما إذا تم تهذيبه، ولكنه لا يعرف فيما إذا كان قادراً على البدء بحياته الجديدة هذه أم لا.

وضع السجين سكينه على عنق الدكتور، وأصر بأن يخبره كيف استطاع تبديل الأجساد فيما بينهما.

ضحك الطبيب..

- يبدو أنك مجنون؟ من سيصدق كلامك هذا؟
- الذكريات التي أحملها.
- أي ذكريات؟
- ابتسم السجين مجدداً:

- الذكريات التي أحملها بداخلي، فأنا الدكتور "سامي" وأنت السجين، وإلى الآن لم تجبني، كيف فعلت هذا وبادلت أجسادنا حينما نطحتني على جبهتي.
- أنت من نطحني.. ولست أنا.
- لا تلف وتدور، أنت نطحتني بقوة على جبهتي حينما كنت ترتدي هذا الجسد، وأنا سقطت على الأرض بالجسد الجديد الذي ترتديه.

طأطأ الدكتور "سامي" رأسه إلى الأرض وبدأ باستذكار ما حصل له نهار إلبارحة، ثم رفع رأسه وقال له:

- في البداية أخبرني ماذا تعرف عن الساعة؟
- هل أنت مجنون، أنت من يجب أن يخبرني بقصة الساعة؟.
- أنا أعرفها..
- وأنا أعرفها..
- ما قصتها؟..
- إنها من "إيما"..
- نعم إنها من "إيما"..
- متى أهدتني إياها؟
- تقصد أهدتني إياها لي أنا.
- لن نختلف على التسميات، أخبرني متى أهدتك إياها؟

- في عيد ميلادي، والآن جاء دورك بالإجابة، أين أهدتني إياها بالضبط إن كنت تدعي ما تدعيه؟
- في كافتريا الجامعة، بعد أن شربنا القهوة، حينها كانت ترتدي قميصاً أسودَ جديداً، وقالت حينها إنها فكرت في شراء قميص آخر لي، لكنها خشيت ألا يكون المقاس مناسباً.

كان الدوار يتسلل إلى رأسيهما، كيف أن كل واحد منهما يعرف هذه القصة بحذافيرها.

اقترب السجين من قدمي الطبيب المربوط، وبدأ بالبكاء كالأطفال، شعر للحظة أنه بحاجة للبكاء، بكى بقوة وبشدة، بكى فقط ليفرغ ما بداخل قلبه من ألم بعد التحول الذي طرأ عليه نهار اليوم السابق.

- لماذا تبكي وأنت الأقوى الآن؟
- أرجوك أعد لي جسدي، أود العودة إلى سابق حياتي وبالشكل الطبيعي.
- لن يحدث هذا، فالآن أنا أنا وأنت أنت.
- لا.. لا تقل ذلك، أنا أنت وأنت أنا كأجساد.
- لن يصدقكك أحد.

عادت الدماء الحارة وصعدت إلى رأس السجين من جديد، وضع سكينه على رقبة الدكتور وصرخ بصوت مكبوت بالقوة والبكاء..

- أعد إلي جسدي الآن وإلا قتلتك.

شعر الطبيب أن لا مفر له من هذا الفخ الذي صار فيه الآن، خاصة أنه استشعر جدية وصدق كلمات السجين، فإن لم ينفذ له ما يريد سيقتله، كانت السكين تلامس رقبته بالشكل الصحيح للقتل.
رفع الطبيب رأسه ونظر إلى عيون السجين اللامعة وقال له:

- هل أنت متأكد من أنك تريد العودة إلى هذا الجسد؟
- نعم... الآن وبسرعة.
- جسدك أقوى من جسدي، فتي وشاب، انظر إلى عضلاتك وظهرك، صدقني جسدك أقوى من جسدي..

أغمض السجين عينيه قليلاً، ثم فتحهما وقال بصوت منخفض مستكين:

- أعد إليّ جسدي.

تنهد الدكتور "سامي"، صمت قليلاً ثم قال:

- حسناً، ولكن علي أن أنطحك بقوة كما فعلت في المرة الأولى.

ارتسمت ابتسامة بسيطة على وجه السجين، إذ شعر ببصيص أمل قادم، على الفور وضع السكين على الأربطة وقطعها كلها. وقف الطبيب خائفاً، ووقف السجين بوجهه، كان جسد السجين أطول من جسد الطبيب، على الفور فهم السجين المغزى، فجثا على ركبتيه أمام الدكتور، وقال له:

- هيا انطحني بكل قوتك، وأعد إليّ جسدي، هيا افعلها.

تراجع الدكتور خطوة إلى الخلف استعداداً لنطح السجين ليعود جسده، ثم قال له:

- اغمض عينيك واستعد..

اغمض السجين عينيه، شدهما بقوة منتظراً النطحة التي ستعيده إلى حياته الحقيقية.
على الفور تناول الدكتور الشمعدانة الحديدة التي كانت بمتناول يده، رفعها وضربها على جبهة السجين بقوة.
لم يكن الدكتور بارعاً بالضرب، ولم يعرف كيف يضرب، ما أراده هو القليل من الثواني التي تساعده على الركض خارج شقته والصراخ لطلب النجدة.

شعر السجين بضربة قوية، ضربة فهمها على الفور، إنها ليست نطحة جبهة، لكنها كانت قوية بالصورة التي أوقعته أرضاً على ظهره.

على الفور فتح عينيه، شاهد الطبيب يَهمُ بالركض خارج غرفة الضيافة، بسرعة البرق ودون أدنى تفكير، حرك السكين بخفة بين أصابع يديه، أمسكها من رأسها الحاد، ورماها بسرعة البرق وبقوة الرصاصة باتجاه ظهر الطبيب لتجثم وسط عموده الفقري وتُسقطه أرضاً مع بقعة من الدماء.

هنا تغيرت الحياة بشكل كلي في عيون السجين مجدداً، وقف مرتجفاً، نظر إلى يديه، تقدم من جسد الطبيب المرمي على الأرض...

كانت الدماء تخرج من ظهره بغزارة...

- ماذا فعلت، لقد قتلته، لقد قتلت جسدي..!!

ازداد الأمر سوءاً من جديد، جلس بجانب جثته وعادت الدموع تنزل من عينيه.

- أي حظ أسود هذا الذي يلاحقني.

شخر الطبيب شخرته الأخيرة ومات.

جثى السجين على ركبتيه أمام الجسد الميت يتأمله لدقائق، ماذا حصل، هل الجسد ميت الآن؟

هل يصلح هذا الجسد للعودة إليه؟ أم أنه انتهى للأبد؟.
لم يكن أمامه أي خيار، ورغم ذلك شعور الندم عاد لينهش قلبه ويحرقه حرقاً، ففي صدره اشتعلت نار حامية، نار لا ترحم فعلته هذه، وهو الآن متروك لمستقبل لا يعرفه، لقد مات جسده، ذبلت عيناه، وتوقف الهواء في صدره.
وقف، نظر إلى جسده الممدد أمامه كلوحة فنية لا تُقدر بثمن، تأمله، شعر أن جسده كان يستحق الفناء، لكن روحه وعقله وماضيه وذكرياته تستحق الخلود.
أشياء كثيرة عليه أن يفعلها قبل أن يغادر بحثاً عن إثبات لهويته كـ"سامي"، أو كالدكتور "سامي"، ولكن بجسد وهيئة مختلفة عن هيئته الماضية.
حمل ماكينة الحلاقة وحلق رأسه وذقنه بشكل كلي، نظر إلى المرآة مُجدداً، فشاهد شاباً وسيماً لا يتجاوز عمره الثلاثين عاماً، نظف أسنانه واستحم، دخل غرفة النوم وبدأ يبحث ضمن الخزانة عن أي مقاسات مناسبة لقياس جسده الجديد.
حمل الأوراق، ونزع ساعته الغالية من معصم جثته الهامدة، قبّلها وضمها إلى قلبه، ثم دس مبلغاً من المال بمحفظته، وخرج بعد أن وضع عطره المفضل.

* * *

"إن الحياة تمتد مع الزمن مارّة بأجيال فيزيائية وأجسام مختلفة"

كارل غوستاف يونغ – طبيب وعالم نفس سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي.

* * *

الفصل الرابع

رحلة الحياة الجديدة بحثاً عن الحقيقة، هذه هي التسمية المناسبة التي أطلقها دماغه للتو، اسمه الآن الدكتور "سامي"، لكن هيئته وجسده ليست سوى السجين رقم أربعة.
إنه يعرف الطريق جيداً، ويعرف إلى أين سيتجه ويعرف مُسبقاً أن جميع الحكايا تنتهي في الجنوب...
رحلته ستكون لإثبات شخصيته بدلائل دينية، فلا العقل ولا العلم بإمكانهما إثبات ما حصل له، وحده الدين قادر على منحه الثقة والدلائل ولربما الوثائق التي تُثبت ما حصل له.
طريق رحلته باتجاه الجبل، باتجاه الريف، باتجاه البساطة، فقضيته تحتاج للبساطة أكثر من حاجتها للتعقيد، إنها هجرة إثبات وتأكيد الحقيقة.
هجرة أشبه بهجرة النبي ابراهيم تاركاً حضارة الرافدين العريقة متجهاً إلى ريف بلاد الشام، ليثبت رسالته ويدعم معتقده.
هجرة أشبه بهجرة النبي من مكة المدينة التجارية والثقافية الكبيرة التي كذبت رسالته ليثبتها ويناصرها الريف في يثرب.
هجرة أشبه بهجرة النبي لوط من القدس العاصمة القوية سياسياً وعسكرياً إلى قرى وأرياف سدوم وعمورة في الأردن.

هجرة أشبه بهجرة النبي يونس الذي ترك نينوى عاصمة الدولة الآشورية ليذهب إلى قرى تسكن سواحل البحر.
هجرة أشبه بهجرة النبي موسى الذي ترك حضارة الفراعنة في مصر وهاجر إلى ريف سهول فلسطين ليثبت رسالته.
فالريف يحمل من المعتقدات ما لا تستطيع المدن حمله.
الريف يُصدّقُ ما تُكذبه المدن.
والسجين الآن يعرف أن ضمن ريفٍ جنوبي بهواء الجبل ستبدأ رحلة حياته الجديدة في البحث عن الحقيقة ليثبت شخصيته المسروقة بعد أن قتل بيديه جسده حينما قتل جسد الدكتور "سامي"، وبقي الدكتور حياً بروحه داخل هذا الجسد الجديد.

* * *

جبل (أسلداموس) أو جبل (الريان) أو جبل (الدروز) أو (جبل العرب)، جبل واحد بتسميات متعددة، وحوله الكثير من السهول الممتلئة بالأرياف، أوابد تاريخية لحضارة الروم والبيزنطة، معالم كثيرة للإمبراطورية اليونانية والعهد النبطي، أديان كثيرة انتشرت هاهنا بدءاً من ميثولوجيا الفراعنة وانتهاء بطوائف الموحيدين الدروز مروراً ببني إسرائيل والديانات الإبراهيمية.
كل الحضارات مرت وسكنت هذا الجبل، وعلى مدى آلاف السنين تكومت المعابد والكنائس والقصور وخزانات معاصر

العنب القريبة من المقابر الدينية والبوابات والأقواس الرومانية والأعمدة والقلاع التي حملت الحضارات.

وجهة السجين كانت واضحة، إنها باتجاه جبل الموحدين الدروز في جبل (أسلداموس) أو ما باتت تعرف اليوم باسم (السويداء)، أو (سوادا) من اللغة اليونانية والتي تعني الحجارة السوداء.

بلاد الحجارة السوداء والمياه العذبة.

طريق طويل، برية تستنشق عليل الجبل، صخور بيضاء وسوداء، تربة حمراء، خضرة وماء، قراها تستقبلك بصياح الديك، وتغريد الطيور، رائحة الأعشاب والنعناع، طرق محصبة غبراء، وحقول الكرمة تحف بها الأسيجة والتي تمتد أمامك على مدّ البصر، إنها "السويداء" أرض تزخر بالمعالم، سكانها متشابهون بلهجتهم وملامح وجههم وتقاليد لبسهم، في أصواتهم حنين رائع وتحيتهم تزخر بالحرارة، عيون الرجال فيها قاسية ونظرات النساء دافئة، تشعر حين تصافحهم أنك تصافح أشخاصاً أعمارهم تفوق الألف عام، فهم سادة الأرض والخصبة هاهنا، والأرحام التي حملتهم أرحام متشابهة.

وصل السجين رقم أربعة إلى وجهته بعد رحلة أخذت منه يوماً ونصف اليوم من الاستعدادت المعقدة، خاصة بعد كثرة الحواجز الأمنية المنتشرة على الطريق الواصل بين العاصمة دمشق والسويداء.

وصل إلى الأرض التي ستحميه وربما تُثبت ما لن يستطع أحد إثباته.

الشمس مختلفة هنا، شمس تتصدر كبد السماء بنور وإشراق لم يره من قبل، فأشعة الشمس فوق وحول الجبال تختلف بأشعتها عن السهول والسواحل.

الشمس هنا تتسلل رويداً رويداً إلى جسد وروح الإنسان، هنا تطبع بياضها على وجه الحياة، فتتلون الأرض بكل الألوان الزاهية.

وقف أمام بناء بحجارة بازلتية سوداء، وفن معماري يحمل دلالات الأديرة القديمة، دير (عين الزمان) أو كما سماه العثمانيون (دير سنان).

النجمة الخماسية الملونة تقبع على قبة المكان، وتُرسم في كل زواياه، نجمة حملت اللون الأخضر ثم الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض، ذات الدلالات اللونية التي ترمز إلى العقل والنفس والكلمة والسابق والتالي.

تعتبر النجمة الخماسية شكلاً من أشكال الهندسة الرياضية وتُرسم باستخدام خمس قطع مستقيمة، وهي تعتبر أبسط مضلع نجمي.

تحتوي النجمة الخماسية على عشرة نقاط تقاطع وخمسة للرؤوس البارزة الداخلية بالإضافة إلى خمس عشرة قطعة مستقيمة.

تُرسم النجمة بخطوط متساوية الطول، والنسبة بين القطعة والبعد بين الرأسين تساوي النسبة المقدسة، أو ما تُعرف بالنسبة الذهبية.

وردت صورة النجمة الخماسية في الأساطير الدينية القديمة كرمز وثني يرمز إلى العناصر الخمسة المكونة للطبيعة وهي (الأرض، الهواء، الماء، النار، والروح)، وأول الديانات التي أمنت بها هي ديانة (ويكا)، ويُقال أنها كانت مرسومة على خاتم النبي سليمان لذلك فلها علاقة بالسحر على مر العصور.

عند بعض الطوائف اليهودية رمزت النجمة الخماسية إلى كتب أسفار موسى الخمسة المقدسة.

وعند المسيحيين رمزت إلى جروح المسيح التي صلب عليها.

أما الإمبراطور "قسطنطين" الأول الذي دمج ما بين رموز الوثنية والمسيحية استخدم النجمة الخماسية كختم على اعتبار أنها رمز الحقيقة، ومن خلالها استطاع كسب المساعدة

من الكنيسة المسيحية عسكرياً للاستيلاء على الإمبراطورية الرومانية عام 312 م.

في أسطورة السير Gawain والفارس الأخضر كانت النجمة الخماسية منقوشة من الذهب على درعه العظيم والتي دلت على الكرم والشجاعة والتقوى والقوة والعفة.

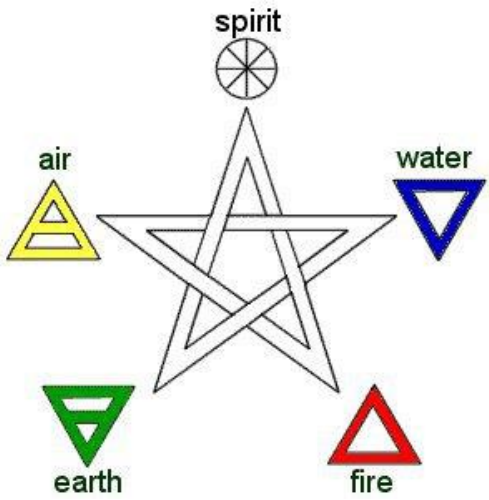

* * *

دخل باحة الدير ضمن صحن تحيط بجوانبه مجموعة من الغرف بطابقين.

في الطابق السفلي أعمدة رومانية قديمة تعود إلى العصر البيزنطي، جدران حجرية كبيرة، وأروقة مزخرفة بالكثير من الرسومات.

صعد الدرج الحجري ليصل إلى الطابق العلوي...

رواق يمتد على الجهات الأربع تحمله قناطر محمولة على أعمدة صغيرة لها تيجان مزخرفة منحوتة من حجر البازلت.

وقف أمام أحد الغرف، والتي تبدو كغرفة لحارس هذا المكان، قرع الباب ودخل على الفور.

شاهد شيخاً خمسينياً يلبس جلباباً أسودَ طويلاً، ويضع قلنسوة بيضاء كبيرة، بشاربه الأبيض العريض المفتول.

- السلام عليكم..
- وعليكم السلام يا بني تفضل اجلس.

جلس السجين الهارب بهدوء، كان الخوف قد ازداد أكثر فأكثر بداخله، نظر بارتياب حوله وقبل أن يبدأ الكلام سبقه الشيخ قائلاً:

- أهلاً وسهلاً بك يا بني، يبدو أنك وصلت للتو.
- نعم يا شيخي الآن وصلت.

وقف الشيخ واتجه نحو طاولة مركونة في الزاوية:

- هل هي المرة الأولى التي تزور فيها هذا الدير؟.
- في الحقيقة سمعت عنه الكثير وهي المرة الأولى التي أزوره.

ملأ الشيخ كأس الماء وقدمه للشاب:

- أهلاً وسهلاً، حيّ الله بك في كل الأوقات.

وضع السجين كأس الماء وقد هدأت أوصاله قليلاً ثم قال:

- شيخي أود مقابلة شيخ وعين هذا الزمان.

فتح الشيخ عينيه على أشدهما، ثم ارتسمت ابتسامة بسيطة:

- عفواً يا بني، لكن شيخ الزمان غير موجود الآن، لقد مات منذ مئات السنين.

عاد السجين وقال بلهجة صارمة:

- قصتي طويلة يا شيخي، وأود مقابلة شيخ وعين هذا الزمان.

عاد الشيخ وابتسم:

- قلتُ لك يا بني عين الزمان غير موجود الآن، لقد مات منذ مئات السنين، ولم يبق سوى ديره هذا كحصن حصين لنا كموحدين.

بلغة صارمة وقوية...

- شيخي، لن أغادر هذا المكان حتى أقابله.

وقف الشيخ مجدداً، واستدار باتجاه الشاب:

- وماذا تريد من شيخ وعين هذا الزمان؟

تنهد السجين بقوة، عض على أسنانه، وبصوت خافت وراجف قال له:

- أنا لستُ أنا...

صمت الشيخ "عقيل" للحظة، تنفس بعمق وقال له:

- متى اكتشفت أنكَ أنتَ لستَ أنتَ.
- لقد تقمّص أحدهم جسدي قبل 3 أيام فقط بحادثة غريبة، وحولني إلى هذا الجسد، لذا أرجوك أريد مقابلة شيخ وعين هذا الزمان والآن.

رفع الشيخ رأسه إلى سقف الغرفة، تنهد وقال له:

- اعذرني يا بني، لن يصدق قصتك أحد، وأنا لا استطيع مساعدتك.

وقف السجين وتحرك بضع خطوات باتجاه الشيخ، وقف أمامه نظر إلى عينيه بإصرار وقال له:

- قلتُ لك أنا الآن لستُ أنا، أحدهم سرق جسدي، وجئت إليكم اليوم طالباً منكم ومنكَ المساعدة بحق (الحبقة).

حين نطق جملته الأخيرة مُزيداً عليها كلمة (حبقة) تغيرت ملامح الشيخ الدرزي، كان وكأنه قد تلقى شيفرة سرية أو جملة خطيرة وعليه أن يبدأ بها...
من الآن فصاعداً سيقف بجانب هذا الشاب حتى تُفك عنه حبقته أو يموت دون ذلك.

* * *

يؤمن القليل من الموحيدين الدروز بدعاء (الحبقة)، إذ لا يُعرف بالضبط من أين جاءت التسمية، فبعضهم يؤكد أن الكلمة مشتقة من اسم امرأة مجاهدة ومناضلة اسمها (حبقة نعيم)، لكن الأسطورة الأقوى والمتوارثة من أرض العبرانيين مهد الديانة اليهودية تقول إن "الحبقة" أو "حبراكوم" في كتاب "الزوهار" و"التلمود البابلي" هو اسم ملاك السماء المختص

بمساندة الأرواح التائهة، الأرواح التي لا تجد أجساداً أو أجساماً تسكنها، فتنادي الأرواح التائهة صارخة في عرض السماء باسمه...

فينزل الملاك "حبراكوم" ليشدّ كل روح إلى جسدها الذي عليها أن تسكنه.

وفي ديانة الدروز الأقرب إلى ديانة التصوف الإسلامية واليهودية، من يطلب "الحبقة" من أي شخص آخر ولا يستجيب لمساندته فإن روحه تُصاب باللعنة فتكثر عليها المحن، ويصيبه سوء الحظ، وتضعف نفسه في مواجهة السحر والعين، وإذا ما خرجت روحه من جسده ستتيه في الكون والفضاء، وإذ ما طلبت من ملاك الأرواح مساعدتها، فسيُذكرّها بما فعلت.

أما من يناصر من طلبها منه، فإن روحه تسمو وتقوى وتفيض عليه البركات.

* * *

في القرن الرابع تنبأ "ملاخي النبي" عن مجيئ يوحنا المعمدان لإعداد الطريق أمام المسيح:

"إني قد رأيت الروح نازلة إلى الجسد مثل حمامة فاستقر عليه"

عن ملاخي 3/1 – يوحنا

كما يستدل من النصوص الواردة في رسائل الدروز بأن النفس البشرية تنتقل بالتناسخ والتقمص إلى أجسام جديدة، فالروح لا تموت بل يموت قميصها (الجسم) ويصيبه البلى فتنتقل النفس إلى قميص آخر.

كما لا ينحصر التناسخ عندهم بين الناس بل يكون أحياناً مع البهائم وهو ما يسمى بالمسخ.

فالعالم قد خُلق دفعة واحدة والبشر خلقوا سوية وليسوا بمتناسلين من أب واحد، فعدد البشر لا يزيد ولا ينقص.

أما العذاب الأكبر فهو عذاب الضمير والندم على ما فات لأنها لم تنتفع من أدوارها الماضية، فكلما مات الإنسان انتقلت روحه إلى مولود جديد، ويسمى ذلك الفرقة أو الخلقة، حيث تشبه النفس السائل الذي يحتاج لإناء يضبطها، فإذا كُسر فلا بدَّ من تلقي السائل في إناء غيره لئلا يهرف ويضيع، ويستدلون بقول القرآن: (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون).

فلا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل وكسبت في إيمانها خيراً.

* * *

(جَبَلَ الربّ الإله آدم تُراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية).

(سفر التكوين7 - التوراة).

(وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون).

(السجدة7 – القرآن).

* * *

ضمن سيارة قديمة صعد السجين بجانب الشيخ "عقيل"، باتجاه قرية صغيرة تُسمى (نجران) إحدى قرى السويداء، لقد وعد الشيخ السجين بمساعدته وإيصاله إلى "عين الزمان".

كانت ملامح التمدن تغيب شيئاً فشيئاً، لتظهر بدلاً عنها لوحة تجسد جمال الطبيعة بهواء نقي وبيوت طينية متواضعة، فهنا ندرك عمق الفكر النابع من تاريخ هذه الحجارة، تاريخ يسكن الروح كما سكنت روح الدكتور "سامي" جسد هذا السجين، أفكار كثيرة كانت تدور ضمن خلد السجين وهو جالس يتأمل الطبيعة، وسؤال واحد مازال يحفر في أعمق نقطة بدماغه، كيف فعل هذا؟

كيف استطاع بضربة على الرأس أن يغير تاريخي، لقد سلبني جسدي، وهذا ما لا يصدقه المنطق والعقل، نحن اليوم في زمن

التكنولوجيا وعصر المعلومات والسرعة، ولا توجد إجابة صريحة على ما فعله؛ بل سيتهمني مجتمعي بالجنون، هذا أمر طبيعي، وقليلة هي الديانات التي تؤمن بالتقمص من خلال الحُجة العقلية والشهود الذين مروا بمثل ما مررت به.

* * *

تقع قرية (نجران) في الجهة الغربية الشمالية من السويداء باتجاه منطقة اللجاة الصخرية، ولا يعرف على وجه التأكيد سبب تسميتها بنجران، فقد تواتر شفهياً العديد من القصص عن سبب التسمية، فقيل إنها مشتقة من تسمية (جران الذهب) لأنها تحوي على كنوز مدفونة في باطنها، وهناك من قال إن التسمية أتت بعد أن لجأ إليها قائد روماني اسمه (ران) هرباً من قطاع الطرق وحين دخلها قالت العامة (نجا ران) ثم حرفت التسمية إلى (نجران) لكن الأقرب ما ذهب إليه بعض الباحثين وهو أن نجران وحين كانت تتبع لحكم الكنيسة سميت بنجران تيمناً بنجران السعودية.

كما وقيل أن النبي محمد مرّ بها أثناء رحلة تجارته إلى الشام، كما سكنها الغساسنة وكانت تتبع آنذاك إلى مدينة بصرى الأثرية.

* * *

وصلنا إلى قرية (نجران) وبمجرد أن ننظر إلى شوارعها وقناطر منازلها سنعرف أنها مدينة تاريخية، كانت الشمس تميل نحو الغروب، وبدأت نسمات هواء الليل الباردة تتسلل إلى عظامي.
توقفت السيارة أمام منزل حجري قديم واسع، ومدخله عبارة عن قنطرة حجرية كبيرة، وقفت تأملتها قليلاً قبل أن يهمس لي الشيخ (عقيل) بالسير معه.
مشينا نزولاً ضمن حيّ كل منازله حجرية، واستغربت لماذا أرادنا أن نترجل من السيارة أمام ذلك البيت الكبير الذي يبدو مهجوراً.
طال بنا المشي لأكثر من نصف ساعة، كانت الشمس قد غربت بشكل كامل وبدأ الظلام يتسلل إلى المنازل، إلى أن وصلنا إلى منزل بعيد عن مركز القرية، منزل نصفه مبنيٌ حديثاً من الطوب والإسمنت، ونصفه الآخر مبني قديماً بطراز أثري قديم من الحجارة البركانية السوداء.
طلب مني الشيخ "عقيل" الانتظار قليلاً أمام المنزل، بينما قام بالطرق على باب مدخل البيت الكبير بقوة، ودخله باتجاه الحديقة قبل أن يخرج أحد ما لاستقباله.
أما أنا فوقفت على الشارع المقابل أنتظر...
تقابل الشيخ "عقيل" مع رجل كبير بالسن يتجاوز عمره التسعين عاماً وجهاً لوجه عند مدخل البيت، كانت ذقنه

بيضاء نقية طويلة، وشاربه أبيض كثيف مفتول، يرتدي جلباباً أبيضَ ويضع قلنسوة بيضاء كبيرة.

وقفا يتحدثان أمام المنزل لعدة دقائق، ثم نظر إليّ الشيخ "عقيل" من بعيد وأشار بيده كي أدخل المنزل من بوابته الكبيرة.

حين قابلت الشيخ الكبير شعرت أنني أمام رجل نوراني وروحي عظيم، بشرته بيضاء صافية، وعيونه كبيرة واضحة متلألئة، قلت في نفسي لعله شيخ "عين الزمان".

- السلام عليكم شيخي.
- وعليكم السلام يا بني، حيّ الله، أهلاً وسهلاً بك، تفضل تفضل.
- أعتذر منك شيخي الجليل ولكن قصتي...

رفع يده طالباً مني السكوت وقال:

- لا تتحدث بشيئ هنا، حيّ الله، تفضل بالدخول.

غرفة حجرية كبيرة جدرانها مطلية بالحوار والطبشور الأبيض، ووسائد ومجلس أرضي بسيط للغاية، بعض ورود الزينة الطبيعية والبلاستيكية، وصور لعدة شيوخ كبار في السن معلقة على الجدران.

جلست في زاوية الغرفة الدافئة، وجلس بجانبي الشيخ "عقيل" والشيخ عين الزمان، نظرت إلى عيون الشيخ الصافية حيث بدأ هو الكلام:

- يا حيّ الله بكم، شرفتمونا، أهلاً وسهلاً.
- أهلاً وسهلاً بك شيخنا الجليل، وأعتذر من حضرتكم شيخي، لا أود إزعاجكم لكن قصتي تبدأ...

مجدداً رفع يده.

- أنا لم أطلب منك التحدث يا بني، قبل كل شيئ أنت ضيفنا، وحقّ علينا إكرامك، يا حيّ الله، أهلاً وسهلاً بك من حيث أتيت، شرفتمونا.

وقف الشيخ ببطء ممسكاً عكازه المعوجة وعاد ليقول مجدداً:

- يا حيّ الله بكم أهلاً وسهلاً، شرفتمونا... قبل كل شيئ يجب أن نأكل معاً..
- لكن شيخي أنا...

رفع يده مجدداً كي أصمت:

- يا حيّ الله بكم أهلاً وسهلاً، شرفتمونا.. لن نتكلم بشيئ قبل أن نتناول طعام العشاء.

سار عدة خطوات باتجاه الباب وهو يردد نفس العبارة عدة مرات:

- يا حيّ الله بكم أهلاً وسهلاً، شرفتمونا.

خلال نصف ساعة كانت غرفة الضيافة الصغيرة هذه تعج بأكثر من خمسة عشر رجلاً يتجاوز عمر كل شخص منهم الخمسين عاماً، وكلهم بنفس المظهر، شارب كثيف مفتول، وقلنسوة وجلباباً أو سروال.
عرفت أن جميعهم من شيوخ القرية، والجميع جاء مرحباً بي والتعرف على قصتي، لكن إلى هذه اللحظة لم يُسمح لي بالتكلم.
الجميع يرحب بالجميع بنفس العبارة:

- حيّ الله، أهلاً وسهلاً، شرفتمونا.

بعد قليل دخل عدة شبان في مقتبل العمر يحمل كل واحد منهم (منسفاً) من طعام (مليحي الجبل) أو هكذا يسمى، وهو من الأطعمة الشعبية المشهورة في جبل السويداء، يتكون من البرغل الأبيض مع قطع الدجاج وعليه كمية كبيرة من اللبن المجمد الحامض حموضة تفتح الشهية، وعليه السمن والزيت البلدي الأصلي ذو الرائحة التي تفتح الشهية كذلك.

حين شممت الرائحة وشاهدت عدد المناسف بدأ لعابي يسيل والشعور بالجوع يجتاحني بقوة.

* * *

العقل الأخلاقي الإنساني يقوم على الشجاعة والكرم وحماية الدخيل أو الضيف، ففي القانون الأخلاقي تحمي المجتمعات حقوقها ويسود الأمن والسلام، وأهل الجبل مثلهم كمثل جميع الشعوب التي مازالت تحافظ على قوانينها وعاداتها، لقد استقبلوني بحفاوة قبل أن يسمعوا قصتي، وقدموا لي الطعام مرحبين بي دون أي مقابل.

بعد وجبة الطعام الدسمة تلك قدموا لنا الشاي الساخن، ومع كل كلام كانوا يتحاورونه كان السلام والترحيب يتكرر بشكل كبير وملفت للإنتباه، إلى أن عدت وبدأت الكلام موجهاً حواري إلى الشيخ الجليل الذي نجلس بمنزله والكل صامت يستمع:

- شيخي الكبير أشكركم على حسن ضيافتكم، وأنا في الحقيقة جئت اليوم لمقابلة شيخ عين هذا الزمان!!!

نظر الشيخ الجليل إلى عيون الحاضرين ثم نظر إلي وقال:

- ولكن شيخ عين الزمان غير موجود يا بني.
- أنا اليوم بينكم لأخبركم بقصتي لعلكم تكونون سنداً لي ورُسلاً أوفياء لرسالة عين الزمان وتساعدونني.

عاد الشيخ الجليل ونظر إلى عيون الحاضرين الصامتين ثم قال لي:

- على الرحب والسعة يا بني، نحن سنقدم كل ما باستطاعتنا لمساعدتك.

تنفست الصعداء، نظرت إلى عيون جميع الحضور وهممت بالتحدث؛ لكن الشيخ عاد وقاطعني:

- بني، قبل أن تتحدث بأي شيئ، أنت ضيفي اليوم والغد وبعد غد، وبإمكانك أن لا تتحدث بشيئ خلال هذه الفترة إلى أن تشعر بالآمان والإطمئنان، فإن أحببت تركناك اليوم لتستريح ثم تتحدث في الوقت الذي يناسبك.
- لا يا شيخي، أنا جئتكم اليوم لأقص عليكم ما حصل معي قبل عدة أيام، وأنا أعرف أن لا أحد بإمكانه مساعدتي سواكم.
- إن شاء الله سنحاول مساعدتك بما نستطيع، ولكن أخبرني لماذا اخترتنا وكيف فهمت طريقة الاستنجاد بنا؟
- في البداية يا شيخي أنا طبيب وجراح قبل أن يحصل لي ما حصل، ولدي اطلاع كبير على الديانات

وتاريخها القديم والحديث في الشرق الأوسط، قرأت الكثير عن قصص التقمص الروحي، سمعت قصصاً من شهود عايشوها، وآخر ما كنت أتخيله أن أتعرض للتقمص في وضح النهار وبهذا العمر، كما أنني معجب بالفكر الدرزي، وأعرف أنه أحد أعمدة الديانات السماوية اليوم، يقوم على العفو والتسامح والتصالح بين البشر والذات الإلهية، وصدقني لا خيار لي في هذه الحياة سوى أن اجلس في مجلسكم هذا وأقص عليكم قصتي كاملةً.

بعد كلماته هذه ساد صمت كبير واستغراب، فلم يسمع أحد أن التقمص قد يحدث للكبار أو الشباب وفي وضح النهار، أو ما يسمى بالتقمص الحيّ، كل القصص التي سمعوا عنها كانت لتقمص أرواح ماتت، أما أن يوجد قصص في هذا العصر عن التقمص الحيّ كما يسمونه فهذا يعتبر أحد النوادر الغريبة والتي تسترعي الانتباه والاهتمام.

* * *

"نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون".

الواقعة 60- القرآن

* * *

تعود عقيدة التقمص في الأديان إلى قدماء المصريين وتعاليم فيثاغورس وبوذا، فالتقمص هو لبس قميص الآخر بشخصيته مع محاكاته بالسلوك والهيئة من خلال انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر، والمذهب الدرزي هو كغيره من المذاهب التي تؤمن بانتقال وتناسخ الأرواح، حيث بنى الدروز إيمانهم على ما جاء في كتب الديانات السماوية كافة، موضحين أن هناك آيات قرآنية وأخرى إنجيلية وتوراتية وتلمودية استدلوا من خلالها على وجود حقيقة التقمص.

ومن الآيات القرآنية التي يستدلون بها آية من سورة البقرة (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم)، بالإضافة إلى آيات إنجيلية منها آية (17/1) في إنجيل لوقا التي تشير إلى أن يحيى المعمدان أتى بروح أيليا النبي.

فالتقمص متوارث آمنت به الديانات الفرعونية كتناسخ الأرواح، وهو عقيدة راسخة عند الأزيديين والبهائيين، وبعض الطوائف اليهودية والمسيحية والإسلامية، إنه بحسب الفكر الصوفي المتدين مفتاح لأسرار الروح، علم عميق وجب الغوص به.

* * *

"يا نفس كل مكروه أصابك وأنت في عالم الكون، فتيقني أن سببه وأصله هو من قِبلكِ ومن صُنعكِ، ومتى ورد عليك وارد من المكاره، فلم تعرفي سببه وأصله، فلا تُحيليه وتظني أسبابه من غيرك وعلى غيرك، بل اجعلي سببه وأصله خطؤك القديم الأول".

هرمس البابلي – أو النبي إدريس الوارد في القرآن.

* * *

اسمي الدكتور سامي عز الدين سقاف، اخصائي وجراح في أمراض الأعصاب والدماغ، أحببت في شبابي أي قبل أكثر من خمسة عشر عاماً فتاة رائعة الجمال لم أحب يوماً سواها، اسمها "إيما"، كانت لطيفة جداً معي، لم تستمر علاقتي معها سوى بضعة أسابيع، ومنذ الأيام الأولى لتعارفنا عرضتُ عليها الزواج، وكانت الموافقة المبدئية لاستمرار علاقتنا واضحة من عينيها...

في عيد ميلادي الأول بعد أن تعرفت عليها أهدتني هذه الساعة، إنها عزيزة على قلبي وأحملها معي أينما ذهبت وفاءً لذكراها.

بعد أن أهدتني هذه الساعة بثلاثة أيام تعرضتْ لحادث سيارة وتوفيت، وأنا حزنت حزناً شديداً، وإلى اليوم لا تفارق ذاكرتي.

مضت الأيام والأشهر والسنون، وتزوجت بمعلمة اسمها "نهلة"، وأنجبت منها طفلاً أسميته "زين".

منذ عدة أيام اتصل بي عند الصباح الباكر ضابط في أمن الدولة والشرطة اسمه "مروان عبد الحميد" ليخبرني أنهم أمسكوا أحد المتهمين وهو يدعي الجنون، وطلب مني على وجه السرعة القدوم لإجراء الفحوصات له لنتأكد هل هو مجنون أم أنه يدعي الجنون ليهرب من مصيره.

حين قابلت السجين المجنون شعرت من نظرة عينيه بالقوة والفطنة، كانت عيونه قوية بشكل لم أره من قبل، أردت حقنه بإبرة مهدئ للأعصاب كي أستطيع معاينته فقد كان متوتراً للغاية ويصرخ مثل الوحش الهائج.

حين اقتربت منه همس بكلمات لم أفهمها.. اقتربت منه وطلبت أن يعيد ما قال، وهنا كانت المفاجأة، إذ أنه قال لي: (هل ما زلت تُخفي عن زوجتك قصة هذه الساعة؟).

وهنا شعرت بالدوار، إذ أنني لم أخبر أحداً بقصة صاحبة الساعة، ثم إن "إيما" قد توفيت قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، وكيف مازال يتذكر شكل الساعة.

طلبت حينها نقله إلى مشفى الأمراض العقلية والنفسية لمعاينته بشكل أفضل، وحين زرته في جناحه ضمن المشفى صباح اليوم نفسه، كان هادئاً على غير عادته، وما إن بدأت الحوار معه لأعرف كيف عرف بقصة هذه الساعة، نهض على الفور من مكانه وضربني برأسه على رأسي بمنتهى القوة،

شعرت بالدوار الشديد وسقطت على الأرض، صرخت مستنجداً بالحارس خلف الباب، وهنا تغيرت حياتي...
وقفت لأمسك بالحارس فتفاجأت أن شكلي وبدني وبشرتي وصوتي وكل شيئ ضمن جسدي الخارجي قد تغير، لقد تحولت أنا إلى السجين داخل جناح المشفى أما هو فقد خرج..
أصبت بحالة عنيفة من الهيجان فكيف لهذا الأمر أن يحدث.. كيف استطاع سرقة جسدي ليعطيني هذا الجسد ويخرج هو بجسدي...
بنفس الليلة وكوني أتمتع بقدراتي العقلية كاملةً استطعت الهرب من المشفى واتجهت نحو بيتي لأطمئن على زوجتي وابني، فقد استبد بي وسواسٌ قهريٌ وبدأ يحفر في دماغي عما قد يفعله بشخصيتي بعد أن تقمصني...
راقبت المنزل حتى خرجت زوجتي وابني ودخلت البيت، وبدأت بضربه ولكمه، ثم قيدته على الكرسي لأنتزع منه أغلى ما سرق مني...
وهنا طلب مني بعد الكثير من الحوار والمشادّة الكلامية أن يضربني على جبهتي بجبهته ليتمكن من إعادة أرواحنا إلى مكانها، ووافقت على ذلك، لكنه وبدل أن يضربني بجبهته قام وضربني بالشمعدانة الموجودة بجانب الطاولة، وهمّ بالهرب والخروج...

وللأسف وبدون أدنى تفكير بعد كل ما حصل لي، أمسكت السكين ورميتها على ظهره بقوة مجنونة، لتستقر بجانب عموده الفقري، لم أكن أنوي قتله، لكن هذا ما حصل.
على الفور حملت بعض احتياجاتي وهربت قادماً إليكم، فأنا أعرف أن العقل والمنطق لن يصدقا ما أقصه عليكم الآن..
لكن أقسم لكم أن ما أخبرتكم به هو الحقيقة بعينها.
ساد صمت مطبق في المضيف الواسع، ثم نطق الشيخ الكبير جملة واحدة:
- أصدقكك يا بني، ولا حول ولا قوة إلى بالله.
وهنا عادت حوارات الشيوخ لترتفع بالضجيج والأحاديث الجانبية، بعضها يؤيد وبعضها ينفي، وما كان مني إلا أن أُصغي لحوار الجميع بجملهم الكثيرة:

- التقمص حقيقة لكن لم أسمع قبل ذلك بالتقمص الحيّ.
- هو ارتكب جريمة قتل....
- هو قتل جسده والله أعلم أين ذهبت الروح التي سكنت جسده.
- هل يعقل أن تكون حبيبته "إيما" هي صاحبة التقمص؟..
- لا أظن أن المرأة تتقمص الرجل..
- قصة غريبة..

- اللهم أجرنا من هكذا تقمص..
- لديه دليل.. فذاكرته لوحدها كافية بأن تثبت حقيقة قصته..
- نعم بإمكان زوجته أن تجلس معه وتصدق روايته إن ذكرّها ببعض التفاصيل الخاصة..
- المشكلة أن جسده قد فُني..
- أنا أرى أن الفرصة جاءت لنا كي نثبت للجميع أن التقمص حقيقة واقعية، يجب أن نساعده في كشف الحقيقة.

وقف الشيخ صاحب المضيف، تنهد قليلاً، ثم قال بعد أن صمت الجميع:

- بني، أنت اليوم ضيفي، سنتركك لترتاح، وغداً صباحاً سنعقد اجتماعاً في دار عين الزمان، لندعو أن يهدينا ولي الزمان للحقيقة، فلا نظلمك ولا نظلم أنفسنا ولا نظلم الإنسانية بداخلنا، ستنام اليوم في داري وفي مضيفي هذا، وإن غداً لناظره قريب.

* * *

ميثاق ولي الزمان: هو مدخل ديانة التوحيد لدى الدروز وعهدهم الأبدي معها، وهو العهد أو القسم الذي به يصبح الدرزي درزياً، بإمامة "حمزة" ورفض جميع الأديان والمذاهب والتبري منها، ويختلف هذا الميثاق عما يسبقه في الترتيب ضمن رسائل الحكمة اختلافاً جوهرياً، ويُعتقد أن من وضعه هو "حمزة بن علي"، ويرى الدروز أن هذا الميثاق أزليّ وأنه يتقمص مع روح الموحد، وأنّ من وقّع على الميثاق في زمن الكشف بقيَ موحداً وموقعاً على الميثاق في جميع أجياله وحَيواته اللاحقة.

وبعد الميثاق يطلّع الدرزي على التفسير الباطني لمعاني القرآن الإسلامي وغير المعلنة للعلن تحت اسم رسائل الحكمة، والتي كتبها "حمزة بن علي بن أحمد"، والتي إلى الآن تعتبر شيفرة سرية يُمنع الاطلاع عليها ويمنع نشرها ويمنع إخراجها خارج حدود الطائفة الجغرافي، ولا يسمح سوى لشيوخ الطائفة الإطلاع عليها وذلك بعد أن يتجاوز عمر الرجل الأربعين ويوقع على الميثاق الأزلي ويكون من أبناء الدرز أباً عن جد حصراً.

* * *

إنني لأسبح بالقداسة التامة لهذا اليوم...
فهو مُذهل وجليل... إن ملكوتك يا رب يتجلى فيه...
وإن عرشك مقام على الرحمة، وعليه يستقر الحقّ...
أنت الحكم الذي يجازي، ولا يخفى على علمك شيئ...
فأنت الشاهد والشهيد والكاتب والمقر والمدون ومتذكر كل شيئ بالحق...
حتى من نحسبهم ماتوا قديماً في الماضي...
إلا أن أرواحهم حولنا...
تدور وتعود...
وتدور وتعود...
حتى تفتح الكتاب المسطور وتأمر بنفخ الشوفار...
فترتعد حتى الملائكة فتصيح عالياً يوم الدين بنا حل...
ففي الدينونة ليست الملائكة عن الخطأ بمعصومة.

دعاء يهوداه هناسي – التلمود البابلي القديم

* * *

من أرض مصر القديمة الشاهدة على ولادة الكثير من الأديان، كانت مهد دعوة ديانة التوحيد، والميثاق الذي حدد حياة الدروز وسياستهم وثقافتهم التي انطلقت قبل أكثر من ألف عام...

ففي عام 1013م كان جامع "الحاكم" يعكس حالة النفوذ السياسي والديني التي عرفتها الخلافة "الفاطمية"، وحينها ظهرت الفرق الدينية بين الخيار الشيعي الذي ينظر إلى أن أحفاد النبي أحق بالخلافة، وفرق رأت غير ذلك، فكان الخلفاء الفاطميون من أتباع المذهب الشيعي الإسماعيلي، وحينها اتسعت الخلافة الفاطمية لتنتشر ما بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر واليمن ومكة وبلاد الشام...

وهنا ظهر "الحاكم بأمر الله"، وبويع خليفة على الفاطميين ولم يكن تجاوز الحادية عشر من عمره، فقرب منه رجال الدين والفقهاء وأكرمهم، كما أسس دار الحكمة التي من خلالها ظهرت حركات تفكر إسلامي جديدة.

وبدأت تأثيرات فكرية جديدة تدخل العصر الإسلامي قائمة على ترجمة النصوص "الإغريقية" و"البابلية" و"الفارسية" و"الهندية".

وهنا تصدّر على الساحة العلمية الدينية والفلسفية المترجمة شاب اسمه (حمزة بن علي بن أحمد الزوزني)، المولود في زوزن

شمالي إيران قادماً سيراً على الأقدام عبر الفرات في العراق ليطلع في رحلته على الأفكار الدينية الجديدة المنتشرة...
فقام بتأسيس فرقة الدروز الموحدة ذات الأفكار الجديدة ليضع أطروحاته حول نشأة الكون، وغاية الإنسان في هذا الكون، وماذا يريد الله من البشر، مازجاً الفلسفة الإسلامية بالفلسفات الهندية والبابلية والإغريقية والفارسية واليونانية، خصوصاً بفلسفة سقراط وإفلاطون وكليتينوس وفيثاغوراس.
تاريخياً يعتبر هؤلاء الفلاسفة قد دخلوا صميم التوحيد في فرضياتهم الفلسفية، وكانوا بحق صناع العتبة الأولى التي بناها "حمزة بن علي" في الفكر التوحيدي الإسلامي لمعرفة الذات الإنسانية للوصول إلى معرفة الله، وتفسير الكون.
فحكماء اليونان كانوا السابقين في وضع جميع الفلسفات التي بُنيت عليها الديانات فيما بعد.
هنا كتب "حمزة" ميثاق التوحيد والذي يعتبر الظاهرة الكبرى إلى اليوم في وضع ركن التقمص بأدلته العقلية وشهوده ممن يرون حيوات متقمصة سابقة مع دلائلها عبر ذكر التاريخ والأسماء وبصورة لم يستطع العلم أن يفسرها إلى اليوم.
فالميثاق له أهمية كبيرة في علم التقمص والموحد الذي يوقع على ميثاق "ولي الزمان" والذي أقرّ التوحيد في زمن الكاشف، يحمي نفسه في الأجيال القادمة، وبهذا يكون موحداً في كل الأجيال التي سيتقمصها لاحقاً.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي وعند الساعة التاسعة والنصف تناولت إفطاري لوحدي، فقد عرفت أن الشيخ "زين الدين" الذي أجلس في داره قد غادر إلى "دار عين الزمان" هو وبعض الشيوخ ليتباحثوا في قصتي.

خرجت إلى حديقة الدار الكبيرة، لأستنشق هواء الجبل النقي، واستشعر تربته الحمراء الممزوجة في السواد التي تجعل روح الإنسان تسمو بتفكيرها...

لم استطع النوم بالشكل الكافي ليلة أمس، فبين الفينة والأخرى أُخرج مرآة صغيرة أخفيها في معطفي وأنظر إلى شكلي في المرآة لعلي أرى تغيراً في شكلي.

في الحقيقة، بعض الأمور في بنيتي وجسدي باتت تعجبني مؤخراً، فعمري يبدو أصغر بعشر سنوات تقريباً، كما أن لون عيوني أجمل وشكلها أكبر، ولست بحاجة لوضع النظارات الطبية تلك، ولم يعد لديّ كرش كما كان في السابق، وعضلات معدتي وأكتافي ظاهرة للعيان، وطولي ممشوق يساعدني بشكل كبير جداً في المشي والركض.

لم يمض الكثير من الوقت حتى وصل الشيخ المُعمر "زين الدين" كانت ملامح وجهه شاحبة ومختلفة عن الليلة السابقة، صافحني ثم طلب مني أن نجلس في المضيف لنتحدث قليلاً.

- بني أشعر بالمحنة التي تعصف بك، وأصدق كلامك، فلو كنتَ كاذباً لكشفت ذلك من نظرة عينيك.
- شكراً لك يا شيخي على هذه الثقة، ولكن صدقني بات الموت بالنسبة لي أهون من أن أبقى هكذا دون هوية.
- نعم، معك حق، اليوم اجتمعت مع شيوخ ووجهاء البلد لنبحث في موضوعك هذا، فنحن نؤمن بالتقمص، ولو لم تكن مؤمناً وحيواتك السابقة صافية لما حصل معك التقمص بهذا الشكل، ولكن ما يفزعنا هو الطريقة التي حصل لك فيها التقمص، فنحن نعرف أنه يحدث من خلال الولادة والموت وليس بالانتقال الحي.

تنهد قليلاً ثم تابع:

- ولعل هذا الأمر اختبار وامتحان لنا من الله عز وجل، يريدنا أن نرى معجزة انتقال الأرواح الحية بالتقمص، وفي نهاية اجتماعنا كان الجميع متفق على مساعدتك ومساندتك، فلربما أنت رسول من الله

جئت إلينا لتثبت لنا معجزة برسالة يريد الله أن نراها من خلالك، ولربما تكون ظاهرتك هذه سبباً في إيمان الكثيرين بالله وبمعجزاته في هذا الزمن الذي لم نعد نرى فيه معجزة، وأنا على عتبة الموت والانتقال، ولربما تكون أنت أخي أو ابني في حيوات بعيدة أو قريبة.

- شكراً لك يا شيخي على كل هذا، ويكفيني منك الدعم النفسي الذي تقدمه لي.
- لا يا بني، الكلام لوحده لا يكفي، يجب أن نستمر في قصتك هذه ونثبتها أو ننفيها بالعقل والحجة الدامغة، وسنكون معك في إيصال الحق لك، وإثبات شخصيتك وروحك، فهذا واجبنا الأخلاقي والديني.

شعرت أن نوبة من البكاء ستجتاحني بعد كلام الشيخ الجليل، لكن أردتُ سؤاله عما كان يحيرني:

- ولكن كيف سنثبت ذلك يا شيخي؟ فأنا إلى الآن لا أعرف كيف فعلها ذلك الشخص.
- لا عليك، نحن سنتولى الدفاع عنك حتى نصل إلى نهاية قصتك ونثبتها أمام الملأ كلهم، ولكن...

وتنهد الشيخ تنهيدة عميقة شعرت بالخوف منها:

- ولكن ماذا يا شيخي؟
- يجب أن تخضع لاختبار "مقري الوحش"!!

كان الاسم لوحده مخيف وذو دلالات أشبه بالأفلام السينمائية.

- وما هو اختبار "مقري الوحش"؟
- هو اختبار الأرواح يا بني لنتثبت فيه إن كلامك حق، وأن الروح التي تسكنك روح مؤمنة وليست شيطانية.
- ولكنني أقول الحقيقة.
- أنا أعرف أنك تقول الحقيقة ولكن الاختبار سيكون بالعلن بين الشيوخ العُقَّال، وهو أحد الشروط السرية في رسالة الحكمة، إنه امتحان الصدق السري لروحك.

* * *

يعتبر امتحان الصدق للأرواح من الأمور السرية في رسائل الحكمة القديمة، والتي تعود إلى ما ورد في التوراة العهد القديم، والتي استخدمها "رعوئيل" في التوراة أو ما سمي بالنبي شعيب في القرآن، ليتأكد من صلاح روح النبي موسى قبل أن يزوجه إحدى ابنتيه، ويعتمد الاختبار على الصيام عن الكلام والطعام لمدة ثلاثة أيام متتالية ولا يُسمح إلا بشرب الماء، وخلال فترة الصيام ستظهر رؤيا أثناء النوم تحمل

رسالة أو اسماً يكون له دلالة على صدق أو كذب من يخضع للاختبار، وهذه الدلالة يجب أن يعرفها الحاضرون.

* * *

الروح تتماوج دائماً بين الأجساد، فهي لا تُضيئ بدون الجسد، أما الجسد فيفنى بدون الروح.

جيوردانو برونو – فيلسوف إيطالي - عمل استاذاً في أكسفورد

* * *

طلب مني الشيخ "زين الدين" أن استحم بماء ساخن فيه أوراق شجرة غريبة منحت الماء رائحة زكية...

وبعد أن ارتديت ملابسي سرت مع الشيخ باتجاه منزل كبير مهجور يسمى (دار مقري الوحش).

حين وصلنا إليه كان أمام بابه خمسة عشر شيخاً يرتدون جميعاً نفس الملابس، جلباباً أسودَ طويلاً، وطربوشاً أبيضَ قبته حمراء، والجميع لهم نفس السحنة وبياض البشرة وحمرة الوجنتين وهدوء العينين.

أما الشيخ "زين الدين" فارتدى مثلهم تماماً سوى أن قبة طربوشه كانت خضراء.

دخلنا دار مقري الوحش جميعاً وأنا أسير وسط المجموعة.

العديد من الغرف والدهاليز تحت الأرض القديمة، كلها مبنية من الحجارة السوداء الضخمة والقوية.

وصلنا إلى نهاية ممر الدهاليز حيث يظهر أثر باب حجري صغير مخفي، جلس الشيخ "زين الدين" وجلس بالقرب منه بعض الشيوخ وبدأوا بنزع الحجارة غير المثبتة بالطين أو الإسمنت.

هنا بدأ الخوف يتسلل إلى جسدي خاصة بوجود الرطوبة والهواء الجاف، لكن المكان كان دافئاً نوعاً ما.

أزاحوا بعض الحجارة ليكشفوا عن باب صغير ارتفاعه لا يتجاوز المتر، شعرت أنه مكان سري ولا يعرف بوجوده أحد.

قرفص الشيخ "زين الدين" وتجاوز بصعوبة الباب الحجري المنخفض ليتبعه بعض الشيوخ ثم دخلت أنا.

ما إن تجاوزت الباب الصغير الضيق حتى ظهرت أمامي باحة دائرية حجرية واسعة وحولها ستة أبواب، كان المكان معتماً، وعلى الفور أخرج الشيوخ كمية من الشموع وأشعلوا بعضها.

ازداد المكان رطوبة وصار شكله مخيفاً، فلم أعرف ماذا يوجد خلف الأبواب الستة، تقدمت قليلاً من أحدها فاكتشفت أنه باب حجري بإطار حديدي وعلى كل باب منحوت شكل لنجمة سداسية بمثلثين متعارضين تشبه إلى حد كبير نجمة النبي "داود" أو ما تسمى بالعبرية "ماجين دافيد" أي درع داود، والتي هي من رموز الشعب اليهودي المقدسة.

على الفور شكل الشيوخ العُقَّال حلقة دائرية حولي أنا والشيخ "زين الدين"، والذي أجلسني على ركبتيّ، ثم قال لي بكل هدوء:

- بني باسم الله أسميك من كل عين سوداء، وباسم الله أسميك من كل لسان كاذب، وباسم الله أسميك من كل أذن جوفاء، وباسم الله اسميك من كل قلب لا يُذكر فيه اسم الرب، وباسم الله اسميك من كل روح شيطانية، أنت اليوم في امتحان "رعوئيل بدار مقري الوحش" هنا في أرض نجران الأرض التي داست ترابها كل أقدام الأنبياء...

أنت اليوم في اختبار لون روحك، ومكانها في هذا الملكوت، فإما أن تنجو روحك وتعود سالمة بيضاء، أو أن تُحرق ويطير رمادها ورفاتها.

بني ستمتنع عن الطعام والكلام لثلاثة أيام متتالية بلياليها، ولن يدخل جوفك سوى الماء، وبعد هذه الأيام الثلاثة سنعود إليك، ستكون روحك قد سَمَت وارتفعت وحامت في ملكوت المكان، فلا زمان يقيدها، ولا مكان يثبتها... فهي روح خارجة من روح الربّ العلي في السموات، وستدلك روحك من خلال رؤيا تراها في نومك أو في بصيرتك على باب عليك أن

تفتحه بحضورنا من بين هذه الأبواب الستة، باب تفتحه لا تفتح سواه، باب بداخله وضِع "مفتاح الأرواح النجمي"، فإن اخترت بعد الرؤيا الباب الصحيح نجوت وكنت من الفائزين، نجوت وكلنا معك في إثبات ما أنت عليه... بني وإن اخترت الباب الخاطئ فاعلم أن روحك روح شيطان أسود، ولن يخرج جسدك من هذا المكان أبداً... فهل تقبل من هاهنا امتحان "رعوئيل"؟

كانت عظامي ترتجف، لم أعرف هل بسبب شعوري ببعض البرد أم أن الخوف حقيقة بدأ يتسلل إلى جسدي..؟

- شيخي الجليل، بعد كل ما حدث لي، أوافق على امتحان "رعوئيل"، فالموت أهون علي من أن أعيش دون هوية، بعد أن سُرق مني جسدي ووضعت روحي في هذا الجسد.
- إذاً على بركة الله نبدأ.

وهنا أمسك كل شيخ بذراع الشيخ الذي بجانبه ليشكلوا حلقة متماسكة قوية، وفي وسطهم وقف الشيخ "زين الدين" وبدأوا بأهازيج وصلاة ومدح لم أسمع به من قبل:

هو الله... يعلو كأسنا فوق كل الكؤوس..

هو الله... من سادات الناس نحن الموحدون الدروز..

هو الله... كنقش على الماء صفو النفوس..

هو الله.. أرسل لنا ببهائة كل الكنوز..

هو الله.. ما قام في اسرائيل إلا نبيٌ محروس..

هو الله... شريعته من كل المهامز والرموز...

هو الله... ما قام في بكة إسلامٌ إلا مأنوس..

هو الله.. كل من ناجاه بالرحمة سما بالفوز..

هو الله... حيدرة الأنزع أضاء الشموس..

هو الله... لا طريقَ نجاة إلا بسلمان ذو القوة الضروس.

* * *

ثم وقف الشيخ، وضع يده على رأسي فصمت الجميع بشكل كامل، جثا بصعوبة على ركبتيه وبدأ يقرأ من القرآن:

"قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئا، قال ربِّ اجعل لي آية، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويا، فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا".

ثم اقترب من وجهي ونفخ عليه ثلاث مرات موجهاً نفخاته إلى عينيَّ، وقال مجدداً:

"من دم هابيل إلى دم زكريا يهوياداع الذي أُهلك بين المذبح والبيت، ومن كل دمٍ سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى زكريا برخيا، الذي قتل بين الهيكل والمذبح، نستودع روحك هنا لتكشف لنا الحقيقة".

بعد ذلك ودون أن يتحدث أيٌّ منهم ببنت شفة، بدأوا بالخروج من المكان واحداً تلو الآخر...

أخرهم خرج الشيخ "زين الدين" بعد أن وضعوا إناءً كبيراً من الماء وحوله العديد من الشموع غير المستخدمة لتكفيني مدة إقامتي وصومي في هذا المكان وحيداً.

أعادوا بناء حجارة الباب السري الصغير، وتركوني في عزلة أشبه بعزلة الأنبياء حين يتفكرون في ملكوت السموات، لكن هذه المرة في مكان منقطع عن أي شيئ، وبدهليز ودرج

حجري تحت الأرض بما لا يقل عن عشرة أمتار، لقد غادروا جميعاً.

* * *

"دار مقري الوحش" أو الدار التي بنى عليها النبي "شعيب" بيتاً له بعد أن طرده قومه من أرضه، منزل حجري قديم يحوي الكثير من الغرف والدهاليز تحت الأرض، ويتجاوز عدد غرفه 360 غرفة، يوجد في أسفلها ما يسمى المشنقة، ولها درج دائري ينحدر إلى أسفل الأرض...

كما يحوي هذا المكان على قوس حجري قطر دائرته يصل إلى 9 أمتار، وخلفه سقف حجري يضم أحجاراً منحوتة برموز كبيرة وضخمة، وإلى الآن لم تُفسر هذه الرموز أو يُكشف معناها.

أما في باحته الحجرية السفلية توجد نجمة سداسية مخفية، نجمة تتشابه بشكل كلي مع نجمة داود على شكل مثلثين كل منهما متساوي الأضلاع، ولهما مركز واحد، رأس أحدهما إلى أعلى ورأس الآخر إلى أسفل، ويشكل المثلثان المتداخلان نجمة سداسية ذات رؤوس تلمسها جميعاً دائرة افتراضية.

نُحت أسفل النجمة كلمة إغريقية قديمة ويقال أن معناها "السحر أو التعويذة"، وفوق النجمة كتابة مشابهة لنفس شكل الحروف ويقال أن معناها "اللعنة".

تاريخياً تعتبر النجمة السداسية أقوى الرموز في السحر والشعوذة لدى ديانات مختلفة، ولا تزال هذه النجمة إلى الآن تُستخدم في السحر والعلوم الشيطانية.

ففي الديانات المصرية القديمة كانت النجمة السداسية رمزاً هيروغليفياً لأرض الأرواح، وحسب المعتقد الفرعوني فإن النجمة السداسية كانت رمزاً للإله "حورس".

أما في الديانة الهندوسية تستعمل النجمة السداسية كمركز لاتحاد القوى المتضادة، مثل "الماء والنار"، أو "الذكر والأنثى"، فالذكر رأس مثلثه لأعلى أما الأنثى للأسفل، وباجتماع الرمزين ينتج "الهيكساغرام"، وهو ما يسمى بالتجانس الكوني حسب الفلسفة اليونانية، حيث الإله "شيفا" هو الخالق الأنثى، لأن الأنثى مصدر جميع الأشياء وهي الولاّدة، بينما الرجل هو القوي بعضلاته فقط وصانع الشرور والحروب.

كذلك تعتبر النجمة السداسية أحد طقوس عبادة "نمرود وسميراميس"، و"عشتار وبعل"، و"أفروديت وفينوس".

وفي الديانة "الزرادشتية" كانت النجمة السداسية من الرموز الفلكية المهمة في علم التنجيم، ورمزاً لكوكب زحل، ولا يزال "الهيكساغرام" حاضراً ضمن مراسم وطقوس "الدرودز Druids".

في طقوس "الماسونية" ورموز "النورانيين" وجماعة "الويكا" الذين يسعون لإعادة بناء هيكل النبي "سليمان" والبحث عن الصحائف المنزلة على النبي "موسى"، يستخدمون النجمة السداسية كبطاقة عضوية في محافلهم وفي صلواتهم وتنبؤهم بالمستقبل.

فللرقم ستة أهمية كبيرة في الديانة اليهودية، فأيام الاسبوع ستة، والله خلق الكون في ستة أيام، والتقاسيم الستة للتعاليم الشفهية، كما أن النجمة السداسية تمثل الحرف الأول والأخير من اسم داود بالعبرية.

كما أن اسم (يهوه) الذي يُعد من أقدم أسماء الخالق الأعظم في اليهودية، منحوت بتشكيلة نجمة سداسة...

وتعتبر الإهرامات شكلاً من أشكال المثلث المتمم للنجمة السداسية وهي منقوشة داخل غرف الفراعنة ضمن الإهرامات، كما أن النجمة السداسية اليوم مازالت موجودة على مبنى المدينة القديمة في "فيينا" وعلى الكثير من الكنائس في ألمانيا، ويُقال أن اتباع "فيثاغوراس" كانوا يستخدمون النجمة السداسية بنفس شكلها الحالي.

* * *

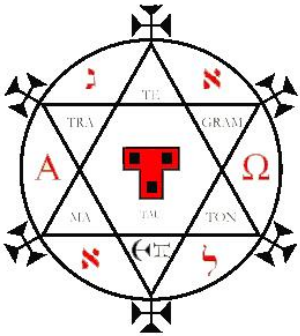

الرجال العظام لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه المكانة في جيل واحد، بل إن ذكريات الحيوات السابقة وتتاليها بالتقمص جعلتهم يميزون الواقع بمنظر أكثر شمولية من الآخرين، والأطفال الذين يقترحون أفكاراً ماكان لهم أن يأتوا بها إلا كونهم جاؤوا بتحضير فكري متراكم وطويل.

يوهان هاردر – فيلسوف وناقد لاهوتي ألماني.

* * *

إنها الساعات الأولى لي في هذا المكان، لم يسدل الليل ستاره بعد، رغم المكان المُقفل إلا أنني أستطيع الشعور بالوقت والزمان، بدأ الجوع يحاكي معدتي، شربت كمية جيدة من الماء لكن دون فائدة، ما أحتاجه هو الطعام، المضغ والبلع والشبع كي أرتاح... تجولت في الساحة المغلقة عدة مرات، تأملت الأبواب، نظرت إليها، وأخذت أفكر بالطريقة التي بنوا فيها هذا

المكان، متسائلاً عن السبب الذي جعلهم يبنون هذه الغرف الستة والساحة الحجرية أسفل الأرض...
هل كانوا يختبئون هنا أثناء الغزوات والحروب؟.
فكرت في الكثير من الأمور، أعدت إلى ذهني مشهد المشفى وكيف تغير جسدي بعملية التقمص الحي، ثم تصاعدت أفكاري ودخلت حيز الدين والعذاب والقيامة.
تصرفات أرواحنا وما تمليه علينا هو ما نحاسب عليه، أما أجسادنا فهي فانية، إنها ليست سوى عربة نركبها لها طاقة تحمّل معينة، ومدة صلاحية، وشكلها الخارجي لا علاقة له أبداً بما تضمره أرواحنا من الداخل، جسدي الآن هو الذي يطلب الطعام كالآلة حين تتزود بالوقود لتستمر بالحركة...
لكن ما علاقة الصيام بالجسد والروح؟ وإذا فرغ الجسد من الوقود كيف ستتأثر الروح؟
ربما كلما جاع الجسد أكثر وخفت حركته ونشاطه وأصابه العمى والتشويش تبدأ الروح بالنظر الصحيح، وتسمو بالرؤية والتفكر والتبصر، وهذا على ما أظن ما يريدونه مني، إنه امتحان لتسمو روحي وتعرف رقم الباب الذي عليّ أن اختاره.
سار الوقت بطيئاً ازداد شعوري بالجوع، شربت كمية إضافية من الماء، لكن بدأ جسدي يهفو ويضعف، وأخذت يداي ترتجفان، تسلل التعب والجوع إلى رأسي، مضى الوقت أكثر وأكثر، وازداد الصداع أكثر وأكثر، قدّرت الوقت بأنه منتصف

الليل، عليّ أن أنام ليمضي الوقت سريعاً ولتنتهي ليلتي الأولى، ولعل الرؤية تأتيني وتدلني على الباب الذي عليّ فتحه.

* * *

هي الروح بقدسيتها وتفردها، نفحة لا نملك عليها سلطاناً، قوانينها مقضية وأحكامها نافذة على أجسادنا، إنها عالم خاص مفاتيحه ليست بأيدينا...
في عتمة المكان الذي فيه أنام دخل الشيخ "زين الدين" دون أن يُفتح ذلك الباب الحجري الصغير...

- شيخي كيف دخلت إلى هنا؟ الأبواب موصدة، والباب الحجري الصغير مازال مغلقاً.
- من أنت؟
- أنا الدكتور سامي... ولكن لماذا تسأل يا شيخي...
- قل من أنت؟
- هل مازلت لا تصدقني، ماذا عساي أفعل لتصدقني؟
- قل من أنت؟؟؟
- أنا.. أنا.. قل لي كيف دخلت؟

وبدأت الأصوات تتعالى من الغرف الستة المغلقة، أصوات همهمات وآهات جماعية...

فجأة اختفى الشيخ "زين الدين"، وظهرت الأصوات من الغرف أكثر وضوحاً:

هو الله... يعلو كأسنا فوق كل الكؤوس..

هو الله... من سادات الناس نحن الموحدون الدروز..

هو الله... كنقش على الماء صفو النفوس..

هو الله.. أرسل لنا ببهائة كل الكنوز..

هو الله.. ما قام في اسرائيل إلا نبيٌّ محروس..

هو الله... شريعته في كل المهامز والرموز...

هو الله... ما قام في بكة إسلامٌ إلا مأنوس..

هو الله.. كل من ناجاه بالرحمة سما بالفوز..

هو الله... حيدرة الأنزع أضاء الشموس..

هو الله... ولا طريق نجاة إلا بسلمان ذو القوة الضروس.

فتحت عينيّ فجأة من هذا الكابوس المزعج، كانت أصواتهم ماتزال ترن بأذني، شعرت بالخوف، وقفت واتجهت لأشعل المزيد من الشموع، لكن استوقفني ضوء بسيط أسفل الباب الأول، اتجهت نحو الباب، تلمسته وحاولت النظر من أسفله لكن دون جدوى.

من أين يأتي هذا الضوء، ضوء أشبه بضوء النهار ولكن كيف تسلل ليصل إلى عمق عشرة أمتار تحت الأرض.

شعرت برغبة في فتح الأبواب الستة، لكن يبدو أنها موصدة بقوة، ثم إن الشيخ "زين الدين" نبهني من عدم الاقتراب ومحاولة فتحها..

لم يمض سوى بعض الوقت حتى تسلل الضوء إلى أسفل الباب الثاني، ثم الثالث على الترتيب، فعرفت أن هذا ضوء الشمس يزور الغرف واحدة تلو الأخرى مع حركة ضوء النهار.

شربت القليل من الماء، وجلست أفكر.

استوقفني حلم ليلة الأمس بزيارة الشيخ "زين الدين" مكاني هذا.

هل هو مجرد حلم أم أن الرؤيا تأتي بهذه الطريقة، ثم إنه لم يفعل شيئاً سوى أنه سألني من أنت.

ثم سمعت مفردات وجمل الأنشودة وهم يرتلونها.

بعد ذلك وبشكل مضحك اجتاحتني حالة من الهيجان كوني أجلس لوحدي ولا أحد يسمعني...

فوقفت وأخذت أرتل جمل الأنشودة بصوت عالٍ مع حركات راقصة يميناً ويساراً أشبه بحلقات الذِكر الصوفيةً..

هو الله... يعلو كأسنا فوق كل الكؤوس..

هو الله... من سادات الناس نحن الموحدون الدروز..

هو الله... كنقش على الماء صفو النفوس..

هو الله.. أرسل لنا ببهائة كل الكنوز..

ضحكت قليلاً ثم جلستُ وعدت إلى حالة التأمل والتفكير فيما حصل لي.

* * *

انتشر خبر الضيف الغريب المتقمصة روحه بين أبناء جميع القرية، وعرفوا أن الشاب يخضع لامتحان "مقري الوحش"، وكثر اللغو والمغالاة في توصيف ما حدث وما قد يحدث.
عاد واجتمع الشيوخ العُقَّال في مضيف الشيخ "زين الدين"، ليتباحثوا موضوع الدكتور "سامي"، فبعضهم يستغرب ولا يصدق هذه الحادثة، أما الأكثرية فقد كانوا من رأي الشيخ "زين الدين":

- إن هذا مرسال من الله ليثبت لنا حقيقة وجود التقمص الحيّ، وبأن الطائفة تسير وفق مسار الاعتقادات الحقيقية، ولكن معرفة الشاب لرقم الغرفة التي تحوي المفتاح النجمي المقدس سيكون السيف الذي يقطع الشك باليقين.

ثم وقف الشيخ بعد أن كثر اللغو بالحديث بين الحاضرين وقال بلغة صارمة:

- الرجل الجالس الآن في غرفة اختبار "مقري الوحش" هو دخيلنا، ونحن لا نخذل الدخلاء وطالبي المعونة،

إن ظهر صدقه في نهاية الاختبار سنسانده ونساعده أمام الحكومة وأمام القضاء ونثبت لهم بالدليل القاطع أنه تعرض لحالة التقمص الحيّ، وستكون ذكرياته أحد الأدلة التي سنقدمها لهم، وعندها سيثبت اليقين في قلوبنا جميعاً بأنها رسالة الله إلينا، والله هو الذي سيرّه نحونا ليُظهر الحقيقة والحق الذي نؤمن به لدى كل من يشكك بعقائدنا، واجبنا أن نساعده هو دخيلنا ولم يُعرف عنا خذلان الدخلاء قط.

* * *

غربت شمس اليوم الثاني، وطمس الظلام حواف الأبواب الستة، حاولت الوقوف لكن الصداع وآلام الرأس ازدادت أكثر فأكثر..

لم أعد أشعر بالجوع أو بالعطش، فقط آلام وصداع برأسي، وأعرف أن هذا بسبب نقص الطعام.

كثيرة هي الأفكار التي اجتاحت تفكيري، طفولتي، زوجتي، ابني، منظر جسدي بعد أن قتلته من على روح ذلك السارق، هروبي من المشفى، وصولي إلى هنا...

ازداد الصداع أكثر وأكثر، والوقت يمرّ ببطئ شديد، متى سينتهي هذا الاختبار، وهل سأنجح به، هل ستأتيني الرؤية التي توضح لي أي باب يجب أن افتح...

بدأت جفوني تغمض مجدداً، لكنني أشعر بصعوبة في النوم، الصداع في رأسي يزداد... وأصوات غريبة وكلام غير مفهوم بدأ يُسمع من الغرف المغلقة.

لا.. الأصوات تأتي من غرفة واحدة، أغمضت عيني وأخذت استمع بتركيز أكثر للأصوات القادمة..

إنها الغرفة السادسة، صوت امرأة تتكلم، سأحاول التركيز أكثر لأعرف ماذا تقول هذه المرأة من همهمات...

الصوت بات أوضح، إنه صوت مآلوف لي، صوت أعرفه بشكل جيد..

نعم إنه صوت "إيما"...

"إيما"، ماتت فماذا تفعل في الغرفة السادسة؟!!..

نهضت من مكاني، كان ضوء الشمعة يخفت أكثر فأكثر، حملت شمعة جديدة، يبدو أن الشموع نفدت، ولا يوجد شموع أكثر، أشعلتها وجلست قبالة الباب السادس، وضعت أذني على الباب وهمست:

- "إيما"... "إيما".. هل أنت هنا؟

جاء صوتها عذباً رقيقاً كما في السابق:

- نعم، أنا هنا أسمعك من خلف هذا الباب.

لقد سمعتُ صوتها واضحاً، فهل أنا بحلم أم حقيقة، أم أنها مجرد هلوسة وهذيان؟

وضعت اصبعي فوق نار الشمعة، لقد حرقت الشمعة اصبعي لقد شعرت بألم الحرق في إصبعي.. عدتُ مجدداً ووضعت اصبعي فوق الشمعة وتركتها تحرقني أكثر هذه المرة لأتأكد أني لا أحلم أو أهذي..

- آآآآآه.. لقد حرقتني بالفعل..
- ما هو الذي حرقكَ... ماذا تفعل؟
- "إيما".. لقد حرقت اصبعي لأتاكد أنني لست في حلم، وأن الصوت الذي أسمعه هو صوتك!!.
- وهل لديك شك بأنك لا تحلم؟؟
- "إيما" أنا طبيب، وواقعي، وأعرف أنك تعرضتي لحادث سيارة وتوفيتِ قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، فكيف تتحدثين إليّ الآن لو لم يكن هذا هذياناً أو حُلماً؟!.
- نعم، ولكن أنا لم أمت بحادث سيارة، بل كانت جريمة قتل مغطاة بحادث سيارة ليتم إنهاء الملف كحادث قضاء وقدر.
- "إيما".. ماذا تقولين؟ هل تم قتلك؟
- نعم يا حبيبي لقد تم قتلي..

- وكيف تم ذلك أخبريني؟ من قتلك؟
- لا عليك يا حبيبي، ستعرف من قتلني فيما بعد، يكفي أنني أحبك..
- الله ما أجمل هذه الكلمة، لم أسمع بمثل صدقها في حياتي.
- أنت حبيبي وستبقى حبيبي، وأنا لم أعشق شخصاً كما عشقتك.
- "إيما" أخبريني من الذي قتلك وكيف تم قتلك؟
- هذا الأمر لن أخبرك به، بل ستكتشفه لوحدك حين تخرج من هنا، حينها ستعرف من قتلني.
- "إيما" هل أنا أُحدث روحك الآن؟؟
- نعم يا حبيبي.
- كيف لنا أن نتقابل؟؟
- قريباً سنتقابل، كل ما تعرضت له وكل ما تفعله ليس سوى طريقاً للقائي مجدداً.
- ولكن جسدي تبدل وتغير؟
- لا يهم الجسد يا حبيبي، ما يهم هو روحك، فنحن هنا لا نرى الأجساد بل نتماوج مع الأرواح التي تشبهنا.
- وهل أختار هذا الباب لأنجح في الاختبار؟.
- هذا الأمر يعود لك، عليك أن تتأمل أكثر لتعرف الباب الذي عليك أن تختاره.

- أرجوكِ أريد رؤيتك الآن، أرجوكِ، "إيما"، "إيما" هل ذهبتِ أين أنتِ لا تذهبي.. "إيماااا".

شعرت بآلام أكثر تجتاح رأسي، وبدأ النوم يسرق قوتي، شعرت برغبة عارمة في النوم، لقد تعبت كثيراً.
وضعت رأسي بجانب الشمعة وغفوت.

* * *

"في كل مرة نموت فيها نربح حياة جديدة بجسد جديد، فالأرواح تعبر من كرة إلى أخرى دون أن تفقد شخصيتها، فعندما أنزل إلى القبر أستطيع القول: لقد أكملت أيام عملي، ولكن لا أستطيع القول لقد انهيت عملي وحياتي، فعملي الجديد سيبدأ من جديد في الصباح التالي ...وهكذا".

فيكتور هوغو – أديب وروائي وشاعر فرنسي.

* * *

في الصباح عاد الضوء ليتسلل من أسفل الأبواب الستة، نهضت فزعاً من مكاني بعد أن تذكرت حوار ليلة أمس، نظرتُ إلى إصبعي، فتحت حدقتيّ عينيّ على أشدهما، كان إصبعي محترقاً وألمه لم يغب بعد.

نعم لم يكن حلماً ولم يكن وهماً لكن لم يكن حقيقة كذلك، وأنا نفسي لا أعرف ما حدث، هل هكذا تكون الرؤيا؟!

إنها الليلة الثانية، زارتني "إيما" وأخبرتني بأمر ذي أهمية كبيرة، إنها لم تمت بحادث سيارة قضاءً وقدراً، بل قُتلت، وحادث السيارة ليس سوى تغطية لتبدو حادثة الموت عادية.

من الآن سيبدأ العد التنازلي لنهاية هذا الاختبار، وغداً صباحاً سيفتحون الباب الصغير ويطلبون مني اختيار الغرفة التي تحوي "المفتاح النجمي"، وهو ما سيؤكد صدق روايتي.

ليس هذا فحسب بل سأخرج من هنا بمعلومة جديدة قد تفيد في فتح ملف تحقيق جديد بمقتل "إيما"، وإن ثبتت حقيقة معلوماتي حول جريمة القتل هذه سيكون بيدي دليل مهمٌ لأثبت شخصيتي، وسأعود لمنزلي وزوجتي وعيادتي متخلصاً من كل ما حدث معي.

* * *

جميع أهالي القرية صغيراً وكبيراً كانوا يتحدثون بموضوع الرجل في "دار مقري الوحش" والذي يخضع لاختبار الصدق،

اختبار لا يُعقد إلا في الحالات الصعبة والتي لا يجد مجلس العُقَّال لها حلاً، كأن يُتهم أحدهم بالسرقة أو بجريمة قتل ولا يوجد أمامه أي دليل ليثبت براءته، حينها يقرر المجلس إخضاعه لاختبار صدقه أو كذبه في "دار مقري الوحش" فإن كان صادقاً تثبت براءته، وإن كان كاذباً وخرج سالماً من "الدار" يتم إبعاده عن القرية ومصادرة منزله وأرضه وتقديمها لأصحاب الحق.

وأحياناً نادرة قد يتم اختبار فتاة عذراء فيما إذا تم اتهامها بشرفها بين أبناء القرية، فتدخل لامتحان الدار وهكذا...

واليوم يعتبر هذا الاختبار الأول من نوعه، إذ عادة لا يُسمح لأشخاص من خارج الطائفة الدرزية بخوض امتحان "مقري الوحش" لكن مجلس شيوخ العُقَّال أرادوا إثبات نظرياتهم في التقمص لبعض المتشككين من جهة، ومن جهة ثانية شعروا أن روح هذا الشخص تعود لحيوات قريبة فكرياً من حيواتهم، وهذا ما جعلهم يستقبلونه.

* * *

وصلتُ إلى بداية الإنهيار، أريد أن أخرج من هذا المكان المعتم، لم أعد قادراً على التفكير أو التركيز، من المؤكد أن المفتاح النجمي المقدس موجود في الغرفة السادسة، دليل دامغ وصلني ليلة أمس، فقد تحدثت معي "إيما" خلف باب الغرفة السادسة وبالتأكيد فإن المفتاح موجود فيها..

يجب أن أخرج، فالشمس قاربت على المغيب ولم أعد قادراً على التحمل أكثر، لا أريد أن أرى رؤيا إضافية، يكفيني هذا...
تحركت نحو الباب الحجري الصغير، وأردت نزع الحجارة والخروج، ولكن لا يوجد أي أثر لمكان الباب، فالحجارة مرصوفة ومتطابقة بشكل لا يسمح حتى للهواء أن يدخل، الشمعة التي بيدي هي الأخيرة، وحتى الماء نفدَ بشكل كلي، دفعت الحجارة المرصوفة لكن دون جدوى، رفستها بقدمي، فلم أستطع حتى تحريكها.
هل يعقل أن الحجارة لا تُزاح إلا من خلف الباب، إذاً أنا في سجن هنا، ولا يمكنني الخروج بإرادتي، وإن لم يأتوا فحتماً سأموت.
جلستُ حائراً خائر القوى، وبدأت تنتابني حالة من السعال القوي...
مضى الوقت بطيئاً، ثم عدت وسمعت صوتاً جديداً، لكن هذه المرة من الغرفة الأولى المقابلة للغرفة السادسة، همهمات وألفاظ غريبة، كأني أعرف هذا الصوت جيداً، زحفت نحو الباب الحجري الأول تلمسته بيدي:

- هل يوجد أحد هنا؟..

لم يجبني أحد، وضعت الشمعة الأخيرة بجانب مدخل المفتاح لعلي أرى شيئاً، لكن دون جدوى.

عادت الهمهمات مع زئير مكتوم:

- من أنت؟

حين لفظت كلمة من أنت، تحولت الهمهمات إلى ضحكات مُخيفة، ثم جاء الصوت الذي عرفته على الفور...

- ألم تعرفني بعد؟

لم أتوقع بتاتاً أن أسمع صوته هنا.

- أنت، السجين السارق؟

ضحك هذه المرة بصوت عالٍ:

- تقصد أنت السجين وأنا الدكتور سامي.
- أنت لست الدكتور سامي، متى ستفهم هذا، أنت السجين الذي تقمصني.
- لو تركتني حيّاً لربما توصلنا إلى اتفاق.
- لا، الشيئ الوحيد الذي لن أندم عليه هو قتلك.
- ولكن كيف ستثبت شخصيتك بدوني الآن..
- إثبات شخصيتي بدونك أفضل بكثير من وجودك باسمي وجسدي، تدخل منزلي وتنام مع زوجتي، وأنا سأبقى أحترق إلى أن تظهر الحقيقة.

عاد وضحك بصوت عالٍ ثم قال:

- أنت مجنون، ولن يصدقكَ أحد، ولن تستطيع إثبات ذلك أبداً!!
- أنا أعرف جيداً أنني الآن أحلم، وربما هي مجرد هلوسات، وأعرف أنك غير موجود الآن، فقد قتلتك بيدي، ولستُ نادماً على ذلك، وسترى كيف سأثبت للجميع أنني أنا الدكتور سامي.

وهنا قاطعني بضحكة أقوى ليقول:

- هل تعلم من بداخل هذه الغرفة معي، اسمع صوته وستعرف...

وجاء صوت جديد لم أكن أتوقع أن اسمعه بحياتي كلها، صوت بلحن أبوي ناعم وحنون:

- بني كيف حالك؟
- أبي؟
- نعم أنا أبوك، هل نسيت صوتي؟..
- لا، لم ولن أنسى صوتك يا أبي.
- لكنك نسيت كل ما أوصيتك به.

بدأت موجة من الغضب تجتاحني مجدداً، فهل يعقل أن السجين الذي سرق جسدي قد أخبر والدي بأشياء وأكاذيب عني؟

- أبي... أبي هل تسمعني... هذا الشخص كاذب، كاذب، وهو ليس ابنك، إياك أن تصدق كلامه، هو الذي سرق جسدي، ووضعني بهذا الجسد ليسرق كل ما أملك... أبي... افتح الباب أرجوك، افتحه الآن.

ساد صمت في المكان..

- أبي هل تسمعني؟؟
- نعم أسمعك..
- افتح الباب أريد رؤيتك الآن، افتح الباب..
- بُني لا يمكنك رؤيتي، ولا يمكنني رؤيتك، ولكن كل ما سأقوله لك، هو أن تنظر إلى أعماق قلبك وستراني وتعرف الحقيقة، عد إلى أعماق قلبك، عد إلى أعماق قلبك بُني وستعود إلى حقيقتك كيفما كانت من قبل.
- أبي أنا في سجن كبير لا أستطيع الخروج منه، وكل ما تسمعه عني مجرد كذب وافتراء، ومن يدعي أنه الدكتور "سامي" هو إنسان كاذب، نعم لقد مات جسدي لكن روحي مازالت حية تسكن هذا الجسد.

- بني أنا لا أرى الأجساد.. نحن هنا فقط نسمع الأرواح وأصداءها، ونتماوج مع الأرواح التي تشبهنا، نحن يا بني نعيش حياة (الزوهار) فهنا تجتمع أرواحنا لتنتقل عبر الأجساد مرة أخرى وهكذا.

بدأ سواد بلون كاتم يدخل إلى عينيّ، لم أعد قادراً على الرؤية، ولم أعد قادراً على الوقوف، جثوت على قدميّ أمام الباب الأول، بدأ تنفسي يضيق، وباتت الدنيا تغيب شيئاً فشيئاً عن ناظري.

* * *

"إذا لم أعتقد بظاهرة التقمص بعد كل الإثباتات التي تعاملت معها طوال فترة عملي، سوف أعتبر نفسي مختلاً عقلياً".

آرثر غيردهام – طبيب نفسي بريطاني.

* * *

أنا مَن أهوى.. ومَن أهوى أنا..
نحن روحان حللنا بدناً... فإذا أبصرتني أبصرته..
وإذا أبصرته فكأن روحه روحي...
وروحي روحه...
أرسل ببهائه كل الكنوز..
ما قام في إسرائيل إلا نبيّ محروس..
شريعته كل المهامز والرموز..
وما قام في بكة إسلامٌ إلا مأنوس..
كل من ناجاه بالرحمة سما بالفوز..

* * *

بهذه المناجاة وصل الشيوخ العُقَّال إلى الباب الحجري الصغير، يرددون ويتلون الأهازيج والأناشيد والتسابيح لفتح باب "مقري الوحش" بعد صيام الشاب عن الكلام مع الناس وعن الطعام لثلاثة أيام متتالية بلياليها..
دخل أولهم الشيخ "زين الدين" ودخل خلفه الشيوخ ممسكين بالشموع...
كان المكان هادئاً، كل الشموع ذابت، وقارورة الماء الكبيرة نفدت، والشاب مغشي عليه أمام الباب الأول... جثا الشيخ على ركبتيه، تلمس موضع قلبه، حاول أن يوقظه لكن زبداً أبيضَ خرج من فمه..

على الفور طلب الشيخ من باقي المجموعة أن يرفعوه عن المكان المستلقي فيه.
حمله أربعة من الشيوخ وأبعدوه عن الباب الأول..
وقف الشيخ "زين الدين" نظر إلى المجموعة المتبقية وقال لهم:

- الشاب مغشي عليه، يجب أن نعرف اختياره قبل أن نخرج من هنا لنتبين حالته.

تقدم أحد الشيوخ خطوة نحو الباب الأول، تلمسه ونظر إليه وقال:

- يبدو أن الشاب كان يحاول فتح هذا الباب بالتحديد، وبما أننا وجدناه مرمياً هنا أظن أن اختياره سيكون الباب الأول، ما رأيك أن نفتحه وننظر هل المفتاح "النجمي المقدس" موجود هنا أم لا؟

تفكر الشيخ قليلاً ثم قال:

- لنفتحه وننظر.

تحملق باقي الشيوخ حول الشيخ "زين الدين" الذي أخرج من جيبه ستة مفاتيح حديدية طويلة، مفاتيح أشبه بتلك المفاتيح الكبيرة التي يفتحون بها أبواب القلاع.

أدخل المفتاح في دائرته الحديدة، حركه، ثم طلب من البعض مساعدته لدفع الباب إلى الداخل...

لم يُفتح الباب من زاويته كالطريقة التي تُفتح بها الأبواب عادة، بل دخل الباب بزواياه الأربعة إلى الداخل وظل معلقاً من خلال مشبك معدني وحبال قوية وسلسلة حديدية في أعلاه ليصير أشبه بالجناح، أو بمخرج ماء السد.

قرفص الشيخ "زين الدين" ودخل الحجرة، ثم دخلها كل من معه.

غرفة اسطوانية طولانية لا تحوي أي زاوية بداخلها، طولها يفوق العشرة أمتار، وقطرها لا يتجاوز الثلاثة أمتار.

على أحد الجدران كانت نجمة فضية منحوتة بعناية فائقة، حوافها من خليط معدني يجمع النحاس والبرونز القديم معلقة على الجدار..

تقدم الشيخ "زين الدين" أمسكها، رفعها أمام الحضور وقال:

- هذه معجزة جديدة أرادنا الله أن نراها، هذا الشاب صادق بروايته، فالنجمة تحولت إلى هذه الغرفة بقدرة القادر عزّ وجّل، وكلنا يعرف أنها لم تكن هنا قبل عدة أعوام، هذه معجزات الله لنا لنؤمن به، ونؤمن بقدرته وبشريعته، ولنكن جميعاً رُسلاً لرسالته في هذا الزمن.

تقدم الشيخ "عقيل" وطلب أن يرى النجمة، قدمها له الشيخ "زين الدين" قبلها ووضعها على رأسه، ثم أعطاها لآخر وهكذا.. ثم قال:

- والآن ماذا سنفعل لنصرة هذا الشاب؟.

تنهد الشيخ "زين الدين" بعمق، تراجع خطوة ليسند ظهره على جدار الصومعة وقال بكل ثبات:

- سأسافر غداً إلى العاصمة، وسأقف ضد أي قانون يُجرّم هذا الشاب، سنقف معه حتى يعترف القانون البشري بالقانون الإلهي، ولن نقبل بتسليمه إلا بعد أن نُقنع القضاء بحقيقة روايته.
- نِعمَ القرارُ قرارك.
- لنتوكل على الله ولنبقي رسالة الحب وشعلة (العرفان) مُتقدة في قلوبنا.

نادراً ما يتم الاعتراف بالدمج الذي يتم بين الأفكار (الغنوصية)، أو (العرفانية) القديمة مع الأفكار (الإسلامية) أو (المسيحية) أو حتى (اليهودية) أو مذاهب كل ديانة.

فـ(الغنوصية) أو (العرفانية) أو (الفكر المعرفي) هو مصطلح يُطلق على فكر الديانات المتناقل وغير المتبدل بين الديانات الإبراهيمية الثلاث ومذاهب كل ديانة.

يقوم الفكر (الغنوصي) على الإيمان بأن الكون مادي مخلوق، وهو انبثاق من الرّب الأعلى الذي وضع شعلة الروح الإلهية في صلب الجسد البشري، ويمكن تحرير أو إطلاق هذه الشعلة عدة مرات ولكن بعد معرفتها للحق.

انتشرت الأفكار (الغنوصية) في محيط منطقة البحر المتوسط، وتطورت بعد أن اندمجت بالحركات الدينية (اليهودية) و(المسيحية) الأولى، وبنظريات أفلاطون حول الحياة وعلاقة الإنسان بالرب.

كما انتشر الفكر "الغنوصي" بزمن الإمبراطورية الفارسية حتى ظهرت في الصين على شكل الديانة "المانوية" وفي العراق على شكل الديانة "المندائية".

وإلى اليوم تعتبر الطائفة "الدرزية" في سوريا ولبنان أكثر من تَعلمها وعمل بها وتعرف عليها، ويسمونها ضمناً بـ(العرفان).

والمعنى الحرفي لكلمة "غنوسس" اليونانية هي "المعرفة

المستقاة من الخبرة النفسية المتكررة بالحيوات" أي بانتقال الأرواح بين الأجساد، أما المعنى بالمفهوم الديني فهو: "المعرفة الروحية المبنية على العلاقة مع الذات الإلهية من خلال الرابط الروحي الذي دمجه الله من ذاته في الإنسان".

وهذا جميعاً جاء من رموز معرفة كتاب "الزوهار" وهو المخطوطات التي من خلالها انتقلت المعرفة الدينية وقصص الأولين عبر العصور بدءاً من العصر البابلي القديم حين كتب الفلاسفة في التلمود البابلي "بوابة الإله" وإلى باقي الديانات في عصرنا هذا.

* * *

* * *

الفصل السادس

عند مدخل قسم الشرطة والأمن الجنائي طلب الشيخ "زين الدين" هو والشيخان اللذان معه مقابلة المقدم "مروان عبد الحميد"، والذي كان بانتظارهما بعد أن وصلته عدة اتصالات توصية من بعض المسؤولين في الدولة وبعض الشخصيات السياسية الرفيعة من خارج الدولة.
خرج المقدم مسرعاً باتجاه المدخل مُرحباً بالشيخ ومن معه:

- أهلاً وسهلاً.. أهلاً وسهلاً شيخنا الجليل، تفضلوا تفضلوا.

تصافح الجميع ودخلوا مكتب المقدم:

- أهلاً بك سيادة المقدم، كيف الحال؟ هل الأمور على ما يرام..
- الحمد لله، حالياً نشهد بعض الهدوء بعد موجة الحروب المتتالية التي كنا نخوضها في الأرياف ضد الجماعات المسلحة.
- ليحميكم الرب..
- شكراً لك شيخنا، أخبرنا ما هي أخبار الجبل؟

- الحمد لله كل شيئ على ما يرام، ونحن هنا لأمر مهم للغاية، ولا نريد أن نطيل المكوث.

تنهد المقدم وهو يقول:

- تفضل أنا بالخدمة.
- سيادة الضابط، أظن أنك تعلم بحادثة مقتل من يدعي أنه الدكتور "سامي عز الدين سقاف".

حين سمع المقدم كلمة "من يدعي" قام من مكانه واتجه ليجلس على كرسي صغير قبالة الشيخ "زين الدين"..

- الدكتور "سامي" هو صديقي المفضل، وتم قتله بأبشع صورة، ونحن في الحقيقة نعرف من قتله، ونبحث عنه في كل مكان، وأنا متأكد أننا سنلقي القبض عليه قريباً... لكن ماذا تقصد بكلمة "من يدعي أنه الدكتور سامي"؟، أنا أعرف الدكتور "سامي" منذ عدة سنوات، وكان بيننا زيارات أسرية، فزوجته صديقة زوجتي، لذا أرجو أن توضح لي ما تعرف عن قصة مقتله وبالتفصيل.
- سيادة المقدم، أريد أن أخبرك في البداية أن الدكتور "سامي" لم يُقتل أو يمت، جسد الدكتور "سامي" هو الذي تأذى ومات، أما روحه فلاتزال على قيد الحياة.

ابتلع المقدم لعابه بصعوبة، وشعر أنه الآن أمام قصة معقدة وجديدة، ويبدو أن مواجهة ومعركة بين العقل والدين باتت وشيكة بينهما.

* * *

تعتبر ثنائية اندماج "رجل الدين" و"رجل السلطة" في الشرق الأوسط أحد الأمور المهمة في مدّ النفوذ والسيطرة على الشعوب المتدينة.

فرجل "الدين والسلطة" ثنائية واجبة لإدارة المصلحة المشتركة إن صح التعبير، ولا يقتصر هذا الأمر على طائفة بعينها أو ديانة أو مذهب، بل إن السلطة القوية والذكية هي التي تبني قوة دينية موجهة من خلالها لكافة الطوائف والأديان التي تحميها جغرافياً لاستمرار سيطرتها على الشعب.

وكلما كان الشعب أكثر تديُناً كلما أولت السلطة أهمية أكبر لرجال الدين لاستمرار قوتها ومعرفتها بكل صغيرة وكبيرة، فمن جهة يضفي الحاكم مشروعية سلطته بالاستناد إلى السلطة الدينية ليزكيها رجل الدين ويثبتها باعتبارها مشيئة الربّ أو الإله أو الله، ومن جهة ثانية يضمن لرجل الدين ممارسة وصايته على الرعية، مع الدعم والنفوذ والمصلحة التي يريدها.

لكن أحياناً تصل جهة الدين وجهة السياسة إلى طريق شبه مسدودة وذلك حين يتعارض القانون القضائي للسلطة السياسية، مع التشريع الديني الذي يدعي رجل الدين أنه سماوي وله الأحقية أو الأسبقية.

كما ويحدث أن ينتصر الدين أحياناً خاصة في الأمور المتعلقة بين الإنسان والأخلاق ومصير حياته ورسم حدوده الدنيوية، ويحدث كذلك وأن تنتصر السياسة خاصة في الأمور المتعلقة بالسلطة والسيطرة والقيادة.

لكن الحرب الحقيقية والتي إلى اليوم لا صلح فيها، هو الصراع ما بين العقل والدين بعيداً عن السياسة، خاصة إذا كانت الحرب بين معتقد لا يؤمن به العقل لأنه غير ملموس أو غير موجود وبين معتقد غيبي أو ماورائي يؤمن به الدين إيماناً أعمى.

فالعقل يصنع المعرفة من خلال البحث العلمي ليكتشف في عمقه الأصل والجذور معتمداً على تصديق الفرضيات أو تكذيبها بحسب الأدلة العقلية والمنطقية، صانعاً المعرفة بأسئلة تبدأ بـ(كيف؟).

أما الدين فيعتمد دائماً على المعلومات المتواترة والموروثة بحسب الآباء والأجداد، وبحسب المكان الجغرافي الذي ولد فيه الشخص ليعتمد على ما تم توريثه له من معتقدات، ودائماً

يجب أن تعتمد إجابته على (نعم) لتصديق ما يسمع منذ نعومة أظفاره.

* * *

انتهى الشيخ "زين الدين" من سرد قصة الشاب الدخيل وحادثة مقتل جسد الدكتور "سامي".
كان الهدوء يسود مكتب المقدم الذي أصغى للقصة من بدايتها إلى نهايتها دون أن يتفوه بكلمة.
وقف واتجه إلى كرسيه خلف مكتبه، أمسك علبة السجائر، أراد أن يُشعل واحدة لكنه شعر أن الوقت والحالة غير ملائمين أمام طائفة الشيوخ هذه، تنفس بعمق وقال:

- القصة غريبة شيخنا، ولا أعرف ماذا أقول...

ابتسم الشيخ "زين الدين" وقال له بإصرار:

- هذه المرة نريد مُحاكمة عادلة، دون إقصاء الدين أو إقصاء حالات التقمص الحقيقية والتي لا تعترفون بها قانونياً أو روحياً.

عاد المقدم وتنهد من جديد:

- ولكن لا يوجد قانون في العالم يحاكي مثل هذه الحوادث والأمور.

- معك حق، وهذا ما نطلبه في الحقيقة، يجب أن تُعدّل القوانين بالصورة التي تتماشى مع أحداث مشابهة لهذه الحادثة، ونحن في الحقيقة أخبرنا قصة الشاب والاختبار الذي تعرض له"لمختارة محجة الدروز" في لبنان والأردن، كما وعرف بالحادثة الكثير من الشخصيات السياسية الرفيعة وبعض وسائل الإعلام، ونريد قضاءً يأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار، فما حدث مع الدكتور "سامي" لربما يحدث مع أي شخص منا، أليس كذلك؟

هز باقي الشيوخ رأسهم بالإيجاب، وقال الشيخ "عقيل":

- القوانين الموضوعة هي قوانين بشرية تعتمد على ملاحظة العين، والأولى أن تؤخذ القوانين الإلهية والحالات الغيبية والروحية بعين الاعتبار كذلك.

حرك المقدم مروان رأس بالإيجاب وقال:

- بما أن الدكتور "سامي" كان صديقي المقرب، وأنه تعرض لحالة تقمص حيّ كما قلتم، هل بإمكاني الجلوس معه، أو إحضاره إلى هنا.

نظر الشيخ "زين الدين" إلى بقية الشيوخ، ثم نظر إلى المقدم وقال له:

- لا نستطيع ذلك سيادة المقدم، إنه دخيل في مضيفنا، ومن واجبنا المقدس أن نحميه ونرعاه حتى يصل إلى حقه، وحقه لن يأخذه إلا إذا جلسنا معه بحجتنا وبراهيينا وبذاكرته وتاريخه أمام قاضٍ عادل، وحكم له حكماً بالصورة التي لا يُظلم بها.
- ولكن ما هي الأدلة الثانوية التي يمكن للقاضي أن يأخذ بها في قصته هذه؟
- سيادة المقدم، علمُ الله واسع كبير، ومعرفة الإنسان ضيقة صغيرة مهما كبرت، إذا كان الإنسان في الوقت الحالي ضعيفاً وغير قادر على إيجاد إثبات علمي على التقمص مثلاً، فهذا لا يعني أن التقمص غير حقيقي، ولا يجب نفيه حتى يتمكن الإنسان من إثباته، بل يجب التصديق به حتى يتم إثباته، وإلا كيف تفسر قصة الدكتور "سامي" والمئات من القصص الأخرى والتي يتذكر فيها أطفال متقمصون حيوات عاشوا بها بأسماء وتواريخ وحوادث وتفاصيل دقيقة مئة بالمئة؟.

شعر المقدم "مروان" بالضيق والاستسلام:

- كما تريد سيدنا الشيخ، سأتصل اليوم بوزارة الداخلية، وأطرح عليهم الموضوع بكل حيثياته وتفاصيله، وسأخبرك بما يقرونه.
- على بركة الله، وأنا إلى حينها سأحافظ على الشاب في بيتي منتظراً اتصالك.
- نعم، أرجو أن تبقيه تحت عينيك، وتنتبه منه جيداً وأن لا تسمح له بالسفر أو المغادرة إلى أن أخبرك بالخطوة التالية.
- إن شاء الله، والآن نستأذن من حضرتك بالانصراف.
- بأمان الله، مع السلامة.

خرج الشيوخ من مكتب المقدم، الذي أخرج على الفور سيجارة وأخذ ينفخ الدخان وهو يفكر بطريقة حل هذه المعضلة.

مرت الدقائق وهو يتخيل الأحداث كيف بدأت بإلقاء القبض على ذلك السجين، ثم وصول الدكتور "سامي"، وكيف استكان وهدأ بين يدي الدكتور، ثم إلى جريمة القتل التي حدثت في منزله.

ضغط على زر بجانب مكتبه وعلى الفور دخل الحارس:

- احترامي سيدي.

- جهزوا السيارة سأذهب إلى مقر وزارة الداخلية في الحال الأمر لا يمكن السكوت عنه.
- حاضر سيدي.

* * *

تعرف السلطة السياسية في سورية ولبنان أن التعاطي مع أبناء الجبل يحتاج إلى دبلوماسية كبيرة، فأبناء الجبل صِعَاب المراس، ويشهد على هذا التاريخ الحديث والقديم لمسيرة الثورات التي ظهرت من بينهم، كما أنهم يعتزون بتاريخهم وهم إحدى الطوائف المؤسسة لسورية ولبنان بشكلهما الحالي كدول.

* * *

من العدل أن يأتي المرء من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي به لنفسه.

ابن رشد.

الحضارة التي بدأت بالكاتدرائيات والمعابد لا بد أن تنتهي بالهرمسية والشيزوفرينيا.

إميل سيوران.

* * *

ضمن وزارة الداخلية، تم إقرار ورسم الخطوات والمراحل التي يجب التعامل معها في قضية "السجين رقم أربعة" و"الدكتور سامي عز الدين سقاف" ودخول شيوخ ووجهاء الطائفة الدرزية ضمن ملف القضية دون أن يتعارض الفكر الديني الإسلامي بالمذهب الدرزي مع القانون البشري في معالجة مرتكبي جرائم القتل، والأخذ بعين الاعتبار أن الاعتراف الحقيقي بالتقمص ضمن قوانين الدستور والقانون الجنائي قد يفتح باباً لن يُغلق أبداً في وجه رجال الشرطة والقضاء العام، خاصة في قضايا القتل.

عاد المقدم "مروان" صعد سيارته وجبل من الهموم قد بات ينزاح عن ظهره في ملف قضية الدكتور "سامي".

أمسك جواله طالباً الاتصال بالشيخ "زين الدين" وهو يقود السيارة:

- السلام عليكم شيخنا، كيف الحال؟
- أهلاً وسهلاً سيادة المقدم، حيّ الله.
- شيخي منذ قليل خرجتُ من وزارة الداخلية حاملاً لكم التوصيات والأمور التي يجب أن نتعاون من خلالها لحل قضية الدكتور "سامي".
- كلي آذان صاغية، ونحن نسمع ونطيع بما يرضي الله ويرضي ضميرنا تجاه دخيلنا.

- سيتم عرض القضية على القضاء الأعلى ضمن القصر العدلي بعد يومين تماماً وبحضوركم وحضور الصحافة، متجاوزين قاضي التحقيق لتكون القضية مفتوحة بيد القاضي المدني العام، وقاضي شرعي من الطائفة الدرزية، وقاضي من المحكة الروحية، مع قاضي محكمة النقض، وسيتم عرض القضية عليهم بكامل حيثياتها وتفاصيلها، وما يحكمون به نحن بصدد تطبيقه، كما طلبوا مني أن تقوم الدكتورة "روجين فائز" المختصة بالسيكولوجيا النفسية بمعاينة المتهم لتقدم للقاضي أثناء المحاكمة تقريراً طبياً مفصلاً عن حالته الذهنية واستيعابه وتذكره للأحداث الماضية والسابقة من حياته.
- حاضر سيادة المقدم، كل ما طلبته سنفعله بشكل دقيق، وموعدنا معك في جلسة القضاء بعد الغد وسيكون الشاب موجود معنا وقد قابل الدكتورة التي ذكرت اسمها، لكن أود أن أكون أنا أحد من يتكلم بصفة محامي الدفاع عن الشاب أمام مجلس القضاة.
- أظن أن طلبك سيوافق من قبل القاضي العام، وأنا سأطلب منه ذلك شخصياً قبل بدء جلسة المحكمة.

* * *

(أنا لا أعتقد بظاهرة التقمص، لكنني واثقة بأنها موجودة مئة بالمئة)

الدكتورة " هيلين وامباك"- مختصة في الطب النفسي – جامعة كالفورنيا

* * *

أنهى مكالمته وترجل من سيارته باتجاه شقة الدكتور سامي، قرع الجرس ووقف حائراً يستحضر ما سيقول لـ"نهلة" زوجة صديقه الدكتور:

- أهلاً وسهلاً سيادة المقدم، تفضل.
- شكراً نهلة.

جلسا بجانب نفس الطاولة التي دار فيها حوار الأجساد لإثبات الأرواح، تنهد المقدم كثيراً قبل البدء بالحوار:

- هناك بعض الأمور التي يجب أن تعرفيها.
- تفضل سيادة المقدم أسمعك..

كان ثوبها ووشاحها الأسود يمنحانها سمة ملائكية صافية، لكن نظرات عينيها الضامرة ما كانت لتخفي شعور الاستسلام والخوف والانهزام الذي ينبض في قلبها.

- تقريباً وصلنا إلى قاتل زوجكِ!!

لم يكن للعبارة أي أثر بالنسبة لها:

- شكراً لكم، هو نفسه المجنون الذي عاينه في السجن والمشفى أليس كذلك؟
- نعم، جميع الأدلة التي جمعناها كانت صحيحة، هو القاتل، وسيتم تسليمه للقضاء بعد الغد، ولكن!!

فتحت عينيها الضامرة الحزينة ونظرت إليه بتمعن:

- هل من مشكلة؟
- لا أعرف كيف ابدأ، ولكن ما مدى معرفتك وإيمانك بتقمص الأرواح!!
- تكلم سيادة المقدم، تكلم بكل ما تعرف، ماذا هناك؟
- التقمص كما تعرفين هو انتقال الأرواح والتفكير وما إلى ذلك من جسد إنسان إلى آخر، والقاتل الذي ارتكب جريمته يقول إنه هو الدكتور سامي ومعه الأدلة على ذلك.

تراجعت بخوف إلى الخلف بعد أن شعرت بشعور غريب يجتاح تفكيرها، ازدادت دقات قلبها بسرعة جنونية، وقفت ونظرت إلى نفس المكان الذي وجدت فيه جسد الدكتور سامي ملطخاً بدمائه، اجتاحتها موجة من المشاعر الغريبة وعادت لتبكي بصوت مسموع.

مع نحيب ونشيج بكائها وقف ابنها "زين" على حافة الباب يراقبها وهو يعرف سبب حزنها هذا..

- نهلة أنا أعرفك وأعرف الدكتور سامي منذ زمن، وأتمنى أن تثقي بي هذه المرة، ما أرجوه منكِ هو أن تجلسي مع الشاب بحضور الدكتورة "روجين"، وهي طبيبة وعالمة مختصة بالسيكولوجيا النفسية، وأظن أنكِ إذا حاورتيه ستعرفين إن كان بالفعل كما يقول، تستطيعين أن تسألية عدة أسئلة خاصة تتعلق بذكرياتكما معاً، وتقريرك مهم للغاية أمام القاضي ضمن المحكمة.
- سيادة المقدم ماذا تقول؟ بت أشعر أنني أعيش على كوكب كل سكانه مجانين.

* * *

نحن لا ندرك ماهية الأشياء، بل ندرك ظواهرها الحسية في المكان والزمان، فالروح موجودة من قبل، وهي قد تغادر إلى كواكب أخرى بعد فناء الجسد لتتقمص هناك، أو تبقى في نفس مكانها ولكن بجسد جديد.

عمانوئيل كانت – فيلسوف ألماني

* * *

أمام بوابة القصر العدلي بدمشق ترجل أكثر من عشرة شيوخ عُقَّال متجهين إلى قاعة المحكمة من بينهم الشيخ "زين الدين" والشيخ "عقيل"..

كما دخل بعض الصحفيين ممن ينقلون الأخبار عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ووصل المقدم "مروان عبد الحميد"، ومعه بعض العناصر الأمنية.

للمرة الأولى وبصورة غير قانونية لم يصل المتهم بسيارة الشرطة، بل وصل بسيارة الدكتورة "روجين" والتي قضت معه أكثر من أربع ساعات ضمن عيادتها الخاصة.

صافح المقدم "مروان" الشيخ "زين الدين" بحرارة، ودخلا قاعة المحكمة..

ثم دخلت الدكتورة "روجين" وهي تسير بجانب الشاب "المتهم" الذي لم يتم وضعه في قفص اتهام، وذلك حسب توصيات الشيخ "زين الدين" للمقدم "مروان".

كانت علامات التعب والوهن ظاهرة عليه، فأكثر من أربع ساعات قضاها مع دكتورة مختصة بعلم "الباراسيكولوجي" أو ما يسمى علم الخوارق السيكولوجية.

دخل القاعة دون أن يتحدث ببنت شفة، وأجلسته الدكتورة ضمن الصف الأول في الوسط بينها وبين الشيخ "زين الدين".

ثم دخلت "نهلة" وابنها وجلسا على الطرف المجاور للمكان الذي جلس فيه المقدم "مروان" كانت مشاعرها تتماوج بين الحزن والخوف الكبير.

* * *

يدرس علم "الباراسيكولوجي" أو علم ما وراء النفس، أو علم النفس الموازي القوى الخارقة وتأثيراتها على الأجسام الفيزيائية دون الخضوع للافتراضات العلمية المعروفة، وهي تتضمن دراسة ظاهرتي الإدراك وراء الإحساس والتحريك النفسي.

يتألف مصطلح "الباراسيكولوجي"من شقين أحدهما "البارا" (Para) وتعني القرب أو جانب أو ماروا‌ء.

أما الشق الثاني فهي "سيكولوجي" (Psychology) وتعني علم النفس.

تتركز أبحاث هذا العلم في الإجابة المنطقية حول الأسئلة المحيرة لدى البعض كـ(المس الشيطاني) أو ما يعرف لدى البعض باسم (الجن)، و(التقمص) وانتقال الأرواح، كذلك (التخاطر وقراءة الأفكار) عن بعد، و(الجلاء البصري) أي القدرة على رؤية ما يقع خارج نطاق البصر، و(التنبؤ) أي معرفة الأحداث قبل وقوعها، و(التحريك العقلي) ويعني القوى الخارقة في تحريك الأشياء أو ليّها أو عجنها أو كسرها دون لمسها...

و(الخروج من الجسد) أو ما يعرف بالتقمص الحيّ، و(الاستبصار بالماضي) أي ذكر حوادث وتواريخ دقيقة، و(التواجد بين مكانين في الوقت ذاته)، و(انتقال المادة بسرعة الضوء) أو ما يعرف لدى بعض الطوائف الدينية بـ"طي الأرض، و(إشعال الحرائق ذهنياً)، و(تجربة والخروج من الجسد لزمن محدد) أو ما يعرف دينياً بـ"الإسقاط النجمي"، وظاهرة (الديجافو) والتي تعني سبق الرؤية، و(الطيران والتحليق) الخارق في الفضاء، و(اللمس العلاجي) أي لمس المريض أو المعاق فيشفى على الفور.

* * *

دخل القاضي العام وبجانبه جلس باقي القضاة، كما دخل قاضي محكمة النقض وجلس معهم.
صمت الجميع لبرهة، ثم قال القاضي بصوت عالٍ:

- فُتحت الجلسة.

وضرب بمطرقته على القاعدة الخشبية.
ساد الصمت مجدداً، ثم بدأ القاضي بمراجعة الأوراق بين يديه، فهو على علم مسبق بغرابة القضية:

- السيد صاحب الاسم الافتراضي "السجين رقم أربعة"...

لم يستجب أحد، فأعاد الجملة مرة ثانية، وهنا وقف الشيخ "زين الدين":

- سيدي القاضي، لا يوجد أحد في هذه القاعة باسم "السجين رقم أربعة" وإذا سمحت لي بالكلام، فسأوضح لحضرتك ولجميع الحضور القصة بتفاصيلها كاملةً.

حرك القاضي رأسه بالإيجاب:

- تفضل، وأرجو أن تُعرّف عن اسمك أولاً.
- أنا الشيخ "زين الدين أشرف" شيخ من شيوخ الطائفة الدرزية...

سيدي القاضي؛ نحن قوم مُسالمون مؤمنون، نؤمن بالتوحيد وصفاء النفوس لنسمو، وإلهنا إله واحد لا يمكن إدراكه بالعقل البشري، ونقبل الوصايا العشرة ونحترم جميع المذاهب والديانات، ونؤمن بالقرآن كتاب سماوي مقدس عادل من الله تعالى، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور كتب سماوية منزلة من عند الله سبحانه وتعالى...

سيدي القاضي الله تعالى خلق الأرواح من روحه حيث قال في كتابه العزيز: "وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من

صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. صدق الله العظيم...

وقال كذلك: نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في مالا تعلمون. صدق الله العظيم...

جاءنا هذا الشاب منذ أيام خلت دخيلاً علينا مستكيناً ضعيفاً، يكاد يفقد عقله من هول ما حصل معه، وما حصل معه ليس بالأمر الهين أو القليل،

هو الدكتور "سامي عز الدين سقاف"، والذي ذهب لمعاينة السجين المريض، ولكن وبضربة من رأسه وكونه يمتلك قدرات خارقة للطبيعة، استطاع ذلك السجين أن يتقمص جسد الطبيب ويتبادل معه الأدوار روحياً، وهو ما يسمى لدينا بالتقمص الحيّ...

سيدي القاضي قد يبدو كلامي هذا غير منطقي للعلم وللمنطق ولأغلبكم هنا.. لكن من يؤمن بالتقمص سيجد أن كلامي منطقي وطبيعي، وكثيرة هي الأديان والمذاهب التي تؤمن بالتقمص وانتقال الأرواح ولكل منها أدلتها الروحية والواقعية...

فإيماننا هذا لم يأت من العدم أو من أقوال وأحاديث متناقلة قيل عن قال؛ بل نحن يا سيدي القاضي نشهد وبشكل دائم وبكثير من الأدلة بنظرية التقمص، فكم من طفل ولد لأبوين، وبعد عدة سنوات بدأ يتذكر حياته السابقة من بين حيواته،

ويذكر أسماء ومناطق وتواريخ وحوادث في مكان آخر لم يكن قد زاره من قبل..

سيدي القاضي كثيرة هي الشواهد والأدلة وعديدة هي المذاهب والأديان التي تؤمن بمثل هذه الأمور والحوادث، والتي إلى الآن لا يأبه العلم بها، ولا يوليها اهتماماً يُذكر، علماً أنها تكاد تحصل كل يوم في حياتنا اليومية، ليس هذا وحسب؛ بل لقد تغاضى عنها القانون وتجاهلها كلياً...

وقضية الدكتور "سامي السقاف" اليوم ليست قضيته لوحده، بل هي قضية الكثير منا إلى أن يعترف القانون بها، فقد يقع أحدنا في شباك مثل هذه الأمور ويُظلم أو يُتهم وهو منها بريء...

فكم من جريمة قتل حدثت وكشفها طفل جاء من مكان آخر بعد أن تقمصت روحه وقد وقعت قبل أن يقتل أو يموت في حياته الأولى... وكم من أسرار وحوادث سُجلت ضد مجهول وأثبتها وأظهر حقيقتها شخص تقمصت روحه بعد حين...

اليوم سيدي القاضي لدينا الدكتور "سامي"، ولكن بهيئة غير هيئته وجسد غير جسده، ودليلنا على ذلك هو أنه مازال يحتفظ بذكرياته وتاريخه وبأشياء كثيرة من ماضيه، وبإمكانكم أن تتأكدوا منها حتى يتم إثبات صدق قضيته وصحتها، فزوجته وابنه وأصدقاؤه والكثير ممن يعرفونه بالتأكيد لو جلسوا معه لعدة دقائق وحاوروه وبدأ هو بقص

حكايات وتفاصيل وأسرار حدثت بينه وبينهم سيكون هذا أكبر دليل على حادثة التقمص الحيّ التي حدثت معه... فهو يعرف تاريخ الساعة التي يرتديها، ويعرف الحادثة التي تعرضت لها "إيما"، كما أن بإمكانه أن يذكر لكم أحداثاً ستشهد زوجته الحالية "نهلة" بحدوثها، وأظن أنها قابلته اليوم واستمعت له هي والدكتورة المختصة، وأنا أقول لكم من كان يعرف الدكتور "سامي" قبل موت جسده، فليجلس مع روحه الآن بجسده المختلف وسيتأكد أنه هو.

سيدي القاضي لم يبق لي من الكلام سوى أن أناشدك النظر بعين العدالة إلى قضية من قضايا الماورائيات وقضايا يتحكم بها الغيب أكثر من أن يتحكم بها المنطق والعلم في زماننا هذا... فربما يأتي وقت يستطيع العلم أن يحاكي قضايا مثل التقمص، وهنا نكون قد ظلمناه لأننا لم نكن نعرف..

وما لم يراه العلم اليوم قد يراه في الغد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظر القاضي إلى أرجاء قاعة المحكمة، كان الكل صامتاً يستمع للشيخ "زين الدين".

أشار القاضي للشيخ بالجلوس.

عاد الشيخ وقبل أن يجلس أمعن النظر بعين الرحمة إلى زوجة الدكتور "سامي" وابنه، ثم جلس في مكانه.

نظر القاضي إلى بعض الصور والأوراق أمامه:

- المدعي العام ليتفضل بحجته.

على الفور.. وقبل أن يتكلم المدعي العام، وقفت الدكتورة "روجين" أمام القاضي:

- سيدي القاضي إذا سمحت لي بالتكلم، أنا الدكتورة "روجين فائز" المختصة بعلم النفس والباراسيكولوجي، والمكلفة من قبل المحكمة بإجراء الفحص الطبي للمتهم، وتقديم التقارير الطبية الخاصة بحالته، مع شهادة السيدة "نهلة" زوجة المجني عليه، والتي حضرت جلسة إعدادي للتقرير كاملاً مع المتهم.

عاد الصمت ليخيم على الجميع وسط القاعة بعد كلام الدكتورة "روجين"، التي تقدمت نحو المنصة بعد أن سمح لها القاضي بالتكلم.

- سيدي القاضي قبل أن أُطلعكم على التقارير الطبية، الخاصة بالمتهم أود القول لحضراتكم جميعاً أنني لا أنفي التقمص كعلم في "الميتافيزيقيا" أو علم "الماورائيات" وعلم "الباراسيكولوجي"، فحالات التقمص لها دلالات ماورائية حقيقية، وقبل قدومي إلى دمشق، كنت قد أجريت عدة

أبحاث مع فريق طبي متخصص ضمن "مجلس البحوث الطبية" في بريطانيا حول حالة التقمص.

* * *

يمكن القول إن الشخصية أكثر الأدوات قدرة على الإقناع.

أرسطو.

* * *

مجلس البحوث الطبية البريطاني: هو وكالة حكومية ممولة من القطاع العام، وهو مسؤول عن تمويل وتنسيق البحوث الطبية في المملكة المتحدة، يُعتبر واحداً من سبعة مجالس بحوث أكاديمية، وهذا المركز هو الذي قام بتطوير "البنسلين" واكتشاف بنية الحمض النووي، وحصلت أبحاثه على أكثر من ثلاثين جائزة نوبل، ومؤخراً بدأ المجلس بتطوير أبحاث حول نظريات الماورائيات وعلم الميتافيزيقيا.

* * *

إن الأحلام في حياتنا هي البيئة التي فيها شكلنا انطباعاتنا وأفكارنا وشعورنا، وحياتنا ليست إلا أحلاماً لحياة أكثر واقعية نتمنى أن نعيشها.

ليو تولستوي – روائي وداعية سلام ومفكر روسي.

* * *

- سيدي القاضي، نحن الآن لسنا أمام قضية انتحال شخصية أو تقمص روح ما، أو ما شابه ذلك..

لقد خضع المريض المتهم صباح اليوم لجلسة تنويم مغناطسي في عيادتي للربط بين أفكاره الواعية والاواعية من ذاكرته المخفية...

واستطعت إخضاع دماغه من خلال جهاز (EGEI) لحالة استرخاء كاملة فتحدث بكل التفاصيل التي عاشها خلال السنوات الماضية وما حصل معه مؤخراً، ثم تم إدخاله في فحص سيكولوجي كامل مع سحب بصمات أصابعه وبصمة وجهه وبصمة عينيه، لنكتشف أن حالة المتهم تعتبر الأندر في علم النفس، إذ أنه يعاني من انفصام عاطفي مع اعتلال نفسي، وسأوضح لكم جميع التفاصيل بدقة إن سمحت لي المحكمة وأمام العامة.

بعد أن صمتت الدكتورة لثانية بدأ الصخب والحوار الجانبي بين جميع الحضور، على الفور أمسك القاضي بمطرقته وضربها بشدة ليصمت الجميع، نظر إلى الدكتورة:

- تفضلي دكتورة تابعي حديثك.
- شكراً سيادة القاضي، أولاً المتهم الماثل أمامكم لا يحمل لقب السجين رقم أربعة كما اعتدتم على تسميته، وبنفس الوقت لا يحمل اسم الدكتور "سامي

عز الدين سقاف" كما أسلف قبل قليل الشيخ "زين الدين"،

الشاب الماثل أمامنا اسمه "آدم فرح" وتأكدنا من خلال دائرة النفوس والسجلات المدنية من ذلك.
"آدم" هو الأخ التوأم لـ"إيما" أصيب في سنوات عمره الأولى بمتلازمة "إسبرجر" المتلازمة التي تعتبر شكلاً من أشكال "التوحد"، والتي تجعل المصاب بها يتمتع بقدرات ذهنية عالية جداً، ويصنف حسب مقاييس الذكاء بـ"العبقري المبتكر"، وتُنسب أغلب الاختراعات الإعجازية التي حققها الإنسان على هذه الأرض بإصابة معضمهم بمتلازمة العبقرية "إسبرجر" ولكن بأطياف مختلفة...
اهتمت والدته به كثيراً في مرحلة مراهقته، فتعلق بها حد الجنون، لكنه وبسبب العبقرية الخاصة التي يمتلكها تطورت حالته وأصيب "بعقدة أوديب" سيكولوجياً، فبدأ يعشق أمه حد الجنون، وينبذ والده بشكل كبير...
وهنا سيدي القاضي، تحولت حالته إلى مرحلة جديدة أثناء جلسة التنويم المغناطيسي ليتحدث عن ماضيه بتفاصيل كثيرة لا يسعنا الوقت هنا لذكرها، ولكنه ذكر لنا الحادثة التي من خلالها توفيت أخته "إيما" والتي كذلك كان يحبها حباً

جنونياً، وكانت تخبره بجميع الأمور والقصص التي تمر معها يومياً وبالتفصيل.

ما أن ذكرت الدكتورة "روجين" اسم "إيما" حتى بدا المتهم وكأنه يفقد تنفسه، إذ صار وجهه أصفراً وبدأ يتنفس بسرعة وبصورة غريبة جعل الكل ينظر إليه.

رمقه القاضي، بعد أن توقفت الدكتورة "روجين" عن الكلام وأخذت تنظر إليه باستعطاف.

ثم عاد القاضي ووجه كلامه إلى الدكتورة:

- حسناً دكتورة أكملي حديثك..
- سيدي القاضي يتمتع "آدم" بذكاء خارق وبقدرة عجيبة على قراءة وملاحظة التفاصيل، كما أن لديه قدرة عجيبة على تحليل الواقع والحركات وابتكار الحلول بصورة لا يتوقعها البشر الطبيعيون العاديون، وهو حاصل على شهادة البكالوريوس في علم التاريخ القديم وعلم الأديان وتطورها، وكان مولعاً بدراسة وثائق الأديان القديمة المتناقلة، كيف تشكلت وكيف تطورت، وكيف تحورت تاريخياً... واستطاع خلال دراسته وبفضل عبقريته أن يُخفي عمن حوله أي دليل على إصابته بأي اعتلال نفسي وسيكولوجي...

وبسبب تعلقه الشديد بأمه، قرر أن يتخلص من والده بصورة ذكية، فقام بتعطيل فرامل سيارة والده، وربط مؤشر الفرامل ليحدث الانقطاع حين تصل سرعة السيارة إلى الثمانين كيلومتراً في الساعة، وذلك بنفس التوقيت الذي يعرف فيه أن والده سيسافر من محافظة إلى محافظة، لكن سوء القدر جعل أخته "إيما" تقرر مرافقة والدها في رحلته هذه، وأثناء الطريق انقطعت الفرامل وتوفي الأب والأبنة بحادث سيارة سُجل مرورياً كحادث قضاء وقدر، ليحتفظ هو بسرّ جريمته في ذاكرته دون أن يخبر بها أحداً، وهنا نعتبر أنه تعرض للصدمة النفسية الأولى، فمكث في غرفته لا يحدث أي شخص، إذ فقد أخته التوأم التي تعلق بها منذ صغره تعلقاً أشبه بالجنون.

بعد عدة أشهر توفيت أمه بسبب حزنها على الحادثة التي تعرضت لها العائلة...

ليتحول "آدم" إلى حالة سيكولوجية جديدة تسمى في علم النفس الحديث باسم "اعتلال الذكاء العبقري والنفسي"، ويسمى كذلك "بانفصام الشخصية العبقري الحاد"...

ولكونه كان يحب أخته وأمه حباً كبيراً ومتعلق بهما أشد التعلق، بدأ دماغه بصقل وتغيير شخصيته الداخلية، والانتقال إلى حالة "التقمص العاطفي الذهني"، أو "الانفصام العبقري"...

في هذه الحالة قرر دماغه أن يبدأ بتأهيله ليعيش حالة عشيق أخته، والذي كان يعرف مُسبقاً أنه "الدكتور سامي"، خاصة أن أخته كانت تخبره بكل ما كان يحصل معها أثناء مقابلتها للدكتور "سامي" وكيف أنها تعلقت به عاطفياً، وبدأت بحبه خلال الفترة الوجيزة التي تعرفت بها إليه...

وساعة اليد التي أهدتها له كانت من اختيار "آدم" فهو من انتقاها لها حين كانت تبحث في السوق عن هدية تناسب حبيبها "سامي"...

انتقل "آدم" يدور في الشوارع يراقب كل تفاصيل الدكتور سامي دون أن يشعر هو بذلك، بدءاً من منزله إلى عيادته، المشفى، المطاعم التي يرتادها، الأصدقاء اللذين يزورهم، ولم يغادر المنطقة التي يعيش فيها الدكتور سامي أبداً، إذ كان ينام في زوايا الأبنية، وغرف الكهرباء، وسوى ذلك لعدة سنوات...

بقي على حالته هذه إلى أن تم إلقاء القبض عليه بعد أن استطاع جعل نفسه محل شبهة، حيث كان يقوم بخلع أبواب المحال التجارية ليلاً، أو إشعال الحرائق في مداخل الأبنية وغير ذلك.. منتظراً أن يتم إمساكه.

وبالفعل تم له ذلك على يد المقدم "مروان"...

دماغه اللاواعي هو الذي كان يُسيرُ جميع تصرفاته وحركاته ويربط له الأشياء ببعضها ليمنحه نتائج مرعبة، فكان قادراً

على قراءة لغة العيون بشكل مبهر، ويعرف ما يفكر به الشخص من خلال حدسه...

ثم جاءت مقابلته للدكتور "سامي" وجهاً لوجه في مشفى الأمراض العقلية، إذ استطاع تسيير جميع الأحداث وفق ما كان يخطط لها بالضبط، وبعد أن انفرد بالدكتور سامي، أعطاه دماغه اللاواعي الأمر لبدء عملية "الانفصام النفسي الداخلي"...

وبالفعل بدأ حالة الانفصام النفسي ليعيش دور الدكتور "سامي" بكامل التفاصيل والذكريات..

وهنا سيدي القاضي كان دماغه الواعي مؤمناً ومُصدقاً لكل ما كان يمليه عليه دماغه اللاواعي، فصدّق وآمن أنه تعرض لعملية تقمص روحي حيّ، وأن روحه هي روح الدكتور "سامي" ولكنها انتقلت إلى جسد السجين...

لقد كان "آدم" مقتنعاً بشكل لا تشوبه شائبة أنه عشيق أخته السابق، وكان يتخيل حياته ويتخيل أن نهلة هي زوجته.

أخيراً سيدي القاضي أود أن أبين لكم أننا أمام عبقرية نادرة جمعت بين متلازمة "إسبرجر" بطيف نادر للغاية، مع اعتلال نفسي بدماغه اللاواعي، ومستوى تفكير نادر ودقيق وذاكرة قوية وخارقة في دماغه الواعي، كل ذلك جعلنا جميعاً ندخل في دوامة شديدة لم نستطع تفسيرها بسهولة.

وجهاز تسجيل الجلسة التي قمت بها صباح اليوم موجود أمامكم سيدي القاضي.

أمسك القاضي بالأوراق وجهاز التسجيل، ثم نظر إلى المتهم:

- يُنطق بالحكم بعد الاستماع للتسجيلات والتأكد من هوية المتهم، والمشاورة الخاصة مع باقي الزملاء القضاة..
- رفعت الجلسة.

* * *

تعتبر متلازمة "إسبرجر" أو متلازمة العبقري الموهوب ذات أطياف وأشكال متعددة، إذ أنها تختلف من شخص لآخر، وهي حالة نادرة جداً، تمنح المصاب بها قدرات عقلية مذهلة، وقد تتطور هذه القدرات بشكل أكبر لتتحول إلى قدرات خارقة، وهي لا تعتبر من الأمراض النفسية ولكونها حالات نادرة ومختلفة يُطلق عليها اسم متلازمة...

ومن بين الشخصيات التي يفترض علماء النفس إصابتهم بمتلازمة "إسبرجر":

(مايكل أنجلو) الرسام والنحات والمهندس المعماري والشاعر الإيطالي، والذي لُقب برجل النهضة النموذجي.

(أبراهام لينكولن) رجل الدولة والمحامي الأمريكي، والذي صنع دستوراً وقوانيناً لأمريكا جعلها المتربعة على عرش إمبراطورية العالم.

(بيل جيتس) إمبراطور التكنولوجيا في عصرنا، مؤسس شركة مايكروسوفت الشركة الأولى في عالم البرمجيات، ويعتبر ضمن قائمة أغنى أغنياء العالم.

(موزارت) أنتج أكثر من 600 تركيبة موسيقية أذهلت العالم بغرابتها.

(ليونادرو دافنشي) الرسام والموسيقي والطبيب وعالم النبات وعالم الخرائط والنحات.

والكثير من العلماء الذين اهتمت بهم دول أوروبا وأمريكا بعيداً عن المعتقدات.

* * *

بصوت قوي صدح في القاعة:

- **محكمة...**
- **حكمت المحكمة حضورياً على المتهم "آدم فرح" بالسجن المؤبد ضمن مشفى الأمراض العقلية والنفسية، قسم الحالات الخطرة، وعزله عن محيطه كونه يُصنف ضمن قائمة المجرمين الخطرين والمختلين عقلياً...**

رفعت الجلسة.

تـمـت

تنويه:

الرواية برسم جميع الحكومات ومنظمات حقوق الإنسان في الشرق الأوسط لدعم مراكز الرعاية النفسية والذهنية للمصابين بأمراض نُشخصها على أنها حالات اعتلال سيكولوجي وذهني.

فبيننا يعيش الكثير من العباقرة والمبتكرين الخارقين، ونعتبرهم معتلين عقلياً، أو ممسوسين دينياً، إنهم في الحقيقة من باستطاعتهم إيجاد الحلول لجميع مشاكلنا العالقة في الطبيعة والعلوم والسياسة والطاقة والكثير غيرها.

أخرجوهم من معتقلات وسجون العقول واستثمروهم في مراكز البحوث، فهم لا يشبهوننا كونهم أفضل منا.

المؤلف

ارتبطت عقيدة التقمص بالكثير من المذاهب الدينية،
ولم تبقَ في إطار ديني بل تخطته إلى بُعدٍ علمي
حيث سعى علماء الباراسيكولوجي
مثل (مورين برنشتين) و(مايكل نيوتن) و(ايان ستيفنسون)
إلى دراسة عدد من الحالات في بلدان كثيرة
لإثبات أو نفي التقمّص
في رواية "زوهار" تتجسد إحدى القصص الواقعية
لدى طائفة التوحيد
بقصة طبيب يتعرض لتقمص حيّ،
فيهاجر من مدينته ليثبت ما حصل معه
وتبدأ حينها رحلة الحياة الجديدة في إثبات شخصيته القديمة.
ثم يخضع لتجربة "دار مقري الوحش"
الدار التي مازالت إلى اليوم عامرة في مدينة نجران
وتحوم حولها القصص الغريبة التي تسرد تاريخها الغامض.
زوهار تكشف الكثير من الحقائق
عن المجتمعات الدينية المنغلقة،
في معركة بين القضاء المدني والمعتقد الديني.

book top